الآداب العرفانية في الأحاديث القدسية: منهج للتعبد ونهج للوصول

Literary etiquette in divine hadiths: an approach to devotion and an approach to access

سمية بن جبار[*1]، أ.د. عمار جيدل[2]

[1]جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدّة، كلية العلوم الإسلامية، s.bendjebbar@ univ-alger.dz

[2]جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدّة، كلية العلوم الإسلامية، a. djidel@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام:2020/04/05 تاريخ القبول:2021/04/03 تاريخ النشر: 2021/07/31

ملخص:

تنوعت الممارسة العرفانية بتنوع طرق السائرين واختلاف أحوالهم، فهي تجربة متعبد منفرد ينطلق من مضمون معين ودافع خاص ليصل إلى هدف واحد وهو الرجوع إلى أصله الأول ليحظى بالقرب ويبقى في حضرة ربه عارفا به، ما يمنحه القدرة على اكتناه سر الغاية من خلقه، لهذا تكمن حقيقة الوصول في مجموعة التجارب المختلفة للمتصوفة والتقارب والاتصال الحاصل بينها؛ اختلاف بسبب التمايز النفسي والروحي لكل مريد، واتصال وتقارب بسبب المرجعية الواحدة وهي القرءان والسنة، لذلك كانت انطلاقة هذه الدراسة من نصوص تشمل صيغة ومضمون المصدرين معا، وهي نصوص الحديث القدسي التي تنبض بروحانية عميقة تجمع بين كلام الله جل وعلا معنى وكلام رسوله لفظا، كما أنها شملت أغلب معاني السير وطرقه وتناولتها في قالب إرشادي مبدع دلّ على أهم ما مارسه العارفون على اختلاف طرقهم ما سمح باستنباط الآداب العرفانية المذللة لسبل السير والسلوك وفق هديه تعالى لتوقى الانزلاق إلى بعض المفاهيم الصوفية البعيدة عن الكتاب والسنة، لأن الهدف إيضاح كيفية السير الصحيح انطلاقا من التعبد إلى العرفان من منظور صوفي سني مستنبطا من نصوص الوحي مباشرة.

الكلمات المفتاحية: العرفان؛ الأحاديث القدسية؛ التعبد؛ الآداب العرفانية؛ الوصول .

[*] المؤلف المرسل

المنارة للاستشارات

ww

Abstract:

Its variety in Swedish custom and its testing in naive conditions, in a very difficult experience. Reaching a set of simple experiences of accountability, approximation, and deep communication that combine the words of God the Most High and Meaningful and the words of His Messenger are rude, as they are, It also included most of the meanings of the walk and its methods and dealt with it in a creative guiding template that indicated the most important thing practitioners practiced in their different ways, which allowed the extraction of humiliating morale literature for the ways of walking and behavior according to the Almighty's gift to avoid slipping into some mystical concepts far from the book and the Sunnah, because the goal is to clarify how to walk right From worship to gratitude from a Sunni Sufi perspective, it is directly derived from the texts of revelation.

Keywords : gratitude; divine hadiths; worship; customary etiquette; access

مقدمة:

في البدء كانت التوبة؛ هي كلمات تلقاها آدم من ربه ليعلن بها رجوعه إلى ما كان عليه من طاعة قبل أن يتبع ما دلّه الشيطان عليه من شهوة، هذا الرجوع وهذه الإنابة كانت طريقه لمعرفة نفسه وخالقه والكون من حوله، فالهبوط كان لغاية الترقي عن هوى النفس وصعودها إلى أصلها الأول، الخضوع والتذلل لخالقها،فاتباع الهدى الإلهي يزكي النفوس ويهبها طاقة للسير إليه تعالى ويُصلحها لتكون أهلا لعبوديته.

وبما أن هديه جل وعلا مركوز في نصوص الوحي قرءانا وسنة، وطبيعة النص الديني – القرآن والسنة– عموما تدعوا للتأمل والنظر، وتغري الباحث في العلوم الدينية لإيجاد تفسيرات واستنباط دلالات شرعية للتجارب الإنسانية على تنوعها واختلافها، فمما يلفت الانتباه ويثير شغف البحث تلك الروحانية العميقة التي تنبض بها نصوص الحديث القدسي، ما يترك بالقلب أثرا ووجدا لم يكن يعلمه، كما أنها دلت على ما يجعل العبد راغبا عن الدنيا مقبلا

المنارة للاستشارات
ww

على ربه، لا غاية له إلا رضاه ومعرفته، وهذه المعاني هي قلب التجربة الصوفية واحدة من التجارب الإنسانية المختلفة، لما تهدف إليه من سمو روحي يصل به العبد إلى ربه

وبإنعام النظر في نصوص الأحاديث القدسية التي اشتملت على مشتقات كلمة عبد بصيغة الإضافة إلى الله(عبدي)، وبأسلوب النداء (يا عبادي)، اتضح أن المواضيع العامة التي تناولتها تدور حول أهمية الفرائض والنوافل، وترشد للموازنة بين الدنيا والآخرة، كما أنها تؤكد على قيمة الإيمان بالغيب، بأسلوب جمع بين الرقائق والحث على الطاعة والبشرى بخير الجزاء، بلغة خاصة وكأنه سبحانه وتعالى يكلم عبده مباشرة، حاثا إياه على التواضع والصبر والخوف منه عز وجل، والتوكل عليه، ليتحقق بالعبودية له تعالى وغيرها من المقامات التعبدية التي تسموا بالروح في معراج الترقي ومنازل السائرين إلى الله، فيبلغ المتحقق بها هدفه الكلي وهو معرفة الله وعبادته على النحو الذي يرضيه، ويحقق الطلب الإلهي في قوله وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون

الاشكالية:

لغة الحديث القدسي وأساليب الخطاب المتنوعة فيه، تفيد باختلاف مواضيعه ومنهجه في التوجيه والإرشاد فالحديث القدسي «... لجلالة نسبته ولطف موضوعه كان له وقع خاص في السمع، واستقبال مميز في النفس وأثر واضح في الشعور والوجدان يركز على بناء النفس الإنسانية وتقويتها وتربيتها»[1]، لذلك فإن ببيان الحكمة من ورود الحديث القدسي تتضح مكانته وقيمة معانيه وتوجهاته في طريق العبد السائر إلى الله .

فالحديث القدسي عبارة عن كلام من الله إلى عباده، ذلك لأن «القرءان صان احتمال أن أحدا من الذين آمنوا يحدثه الشيطان بأن: لما لم يكلمني الله؟، فقضية أن يكون للشخص مع الله حوار قضية أزلية، فعبر الزمان كان لكل من اليهود والنصارى وللذين لا يعلمون طلبات قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ ﴾[البقرة:117]، ف : **"لولا يكلمنا الله"** أمنية وطلب حدث مع أغلب أقوام الرسل، فهو أمر وارد في تفكير الناس، وهذه الآية تحل الإشكال، فالله تجاوز السؤال وبيّن كيف يكون الواقع بقوله: قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ فأول يقين الإنسان أنه بشر

المنارة للاستشارات

إذن ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: 51] هذه الآية حددت العلاقة بين الخالق والمخلوق كيف تكون، فالموقنون لم يطلبوا ليقينهم في الله فكان الرد بالآية الواحدة والخمسين من سورة الشورى، والجزاء أن كلّمهم الله بالحديث القدسي»[2].

يُلاحظ أن تأثير الحديث القدسي على النفس واضح جلي بمجرد قراءته، وتأمل معانيه، فهو يحرك الوجدان ويدفع إلى التوبة ويحث على العبادة والعمل، ويرشد إلى كل سلوك سوّي؛ لأن الإنسان حينما يدرك أنه محاط باهتمام وبخصوصية يرتفع تقديره لذاته فيزداد عطاؤه وبذله، أما إذا كان الاهتمام والخصوصية والتّقريب من رب العباد فإن العطاء يزيد، والقلب يخضع ويتذلل ويسارع في مرضاة ربه، لأن العبد تذكّر تقصيره في حق نفسه، وحق ربه الذي غمره بأنعمه، ومنّ عليه بفضله أن ذكّره بالرجوع والتوبة، وفضّله على كثير من خلقه بإضافته إليه تكريما وتشريفا.

وعليه فإن للسير والسلوك آداب لابد أن يتمتع بها المريد، وعلامات يتفرد بها تعبده لربه، ومراحل تتطلب لتحقيقها انفعالا قلبيا بها على مستوى وجدانه، وتصديقا عمليا لها في واقع حياته وهذه هي الآداب العرفانية التي ما إن تحقق بها العبد وفق منهج الله أصبح من القوم الذين صحت لهم التجربة وأتموا الطريق وحضوا بالمكاشفات، فعرفوا الله بالله عن طريق الاسترشاد بشيخ عالم بالطّريق وأسراره.

وبناء على ما سبق عرضه فإن هذا المقال يسعى للكشف عن الآداب العرفانية التي اشتملت عليها الأحاديث القدسية، وكيف تيسر السير والسلوك للمتحقق بها من خلال المصدر الذي اعتمده أهل الطريق لاشتماله على أهم موضوعات السير والسلوك إلى الله؛ وهي مراحل السير يقول أبو القاسم الجنيد: «وطريقنا هذا مشيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدي به فيهما»[3] ويقول إبراهيم بن أدهم: « إني لا أقبل من أحد شيء إلا بشاهدين عدلين كتاب الله وسنة رسول الله»[4] فالكتاب والسنة هما مصدرا الصوفية في المعرفة، والكشف يقاس عليهما فإذا وافق الكتاب والسنة قبلوه، وإذا خلفهما طرحوه، ويقول عبد القادر الجيلاني« لا سبيل لبلوغ الغاية إلا من طريق الشرع» [5]، وعليه ماهي الآداب العرفانية التي عنت بها الأحاديث

المنارة للاستشارات

القدسية وحثت على تحصيلها؟ وكيف يطوى الطريق وتبلغ الغاية استرشادا بهذه الآداب؟

وقد تم معالجة هذه الاشكالية وفق أربع مباحث وهي كالآتي:

-المبحث الاول: ضبط مفاهيم ومصطلحات الدراسة

-المبحث الثاني: الاجراءات المنهجية للدراسة

-المبحث الثالث: آداب السير والسلوك في الاحاديث القدسية

-المبحث الرابع: المقامات العرفانية في الاحاديث القدسية

المنارة للاستشارات
ww

المبحث الأول: ضبط مفاهيم الدراسة:

المطلب الأول: العرفان:

–لغة: غلب استعمال مادة (ع. ر. ف) للدلالة على العلو وطيب الرائحة والأثر والعلم والإحسان، وكذلك الصبر؛ فجاء في معاجم اللغة: «عرّف الشيء بمعنى طيّبه وزيّنه»[6]، «والعرفان: العلم»[7]، وقد يستعمل أيضا « فيما تدرك آثاره ولا تدرك ذاته، لهذا يقال: فلان عارف بالله ولا يقال عالم بالله»[8].

و«العُرف بالضم: ما ارتفع من الشيء، يقال اعرورف البحر ارتفعت أمواجه»[9]، وبالتحريك يدل على «الصبر»[10]. فلو تحلى الإنسان بهذه الصفات المرتبطة بدلالات الجذر (ع . ر. ف)، لتميز ببعض صفات العالم، وهي علو القدر وطيب الأثر والصبر والعلم لذلك ورد: «العارف: العالم»[11]، «علم الشيء بتفكر وتدبر»[12]، «لأثره»[13].

اصطلاحا:

أ. العارف: «الذي فني عن نفسه وعن تصوراته إلى عالم النور المحض الذي لا تصور فيه»[14]، ويشير الصوفية بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة فمن فني عن أوصافه المذمومة ظهرت عليه الصفات المحمودة، والصفات المحمودة تدرك بالمكابدة التي هي عين الصبر حتى يصير العبد بها «مستغرقا في معرفة الله ومحبته»[15]، وهذا المعني لا ينفك عن المعني للغوي فأن فني العبد عن أوصافه المذمومة وقتل هوى نفسه علا وارتقى في منازل السائرين الراجين بلوغ العرفان الذي عرُّف على أنه: .

ب. العرفان: «مذهب فكري فلسفي متعالي وعميق يسعى إلى معرفة الحق تبارك وتعالى، وإلى معرفة حقائق الأمور وأسرار العلوم، وطريقته ليس منهج الفلاسفة والحكماء؛ بل هو طريقة إتباع منهج الإشراق والكشف والشهود»[16]، هذا التعريف تناول العرفان بتمييزه عن الفلسفة لاشتراكها معه في المباحث واختلافها عنه في المنهج، كما أغفل الجانبي العملي منه الذي يهتم بطريقة السلوك والمجاهدة.

وعرّف كذلك بأنه:

المنارة للاستشارات
ww

«العلم بالله سبحانه، من حيث صفاته وأسماؤه ومظاهره وأحوال المبدأ والميعاد، والعلم بحقائق العالم وبكيفية رجوعها إلى حقيقة واحدة ... ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة، لتخليص النفس من مضايق القيود الجزئية وإيصالها إلى مبدئها»[17]، هذا التعريف أدرج إلى الجانب العرفان النظري، الذي يبحث في معرفة الله وأسمائه وصفاته، العرفان العملي الذي يبحث في طريقة السير والسلوك وآدابها وأسرارها، وهو المقصود في هذه الدراسة.

أما عند الصوفية لم أجد تعريفا خاصا بمصطلح العرفان إلا عند لسان الدين الخطيب[18] — لأنه يعد عندهم غاية لا علم كما عند البعض من عرفاء الشيعة– فقد عرفه بأنه: «مقام لا نهاية لحده، يبلغ إليه بتحصيل المعرفة التامة والسلوك، وهو السعادة الكبرى»[19]. أعطى الخطيب العرفان صبغة المقام كون المقامات النتيجة التي يصبوا الصوفي لنيلها بالمجاهدات ومخالفة الهوى، فـ«لكل عمل نتيجة من الكون، ونتيجة من الحق، نتيجته من الكون يسميها ابن عربي كرامة، ونتيجته من الحق يسميها مقامات التحقق»[20]، فكان العرفان حسب لسان الدين الخطيب أعلى المقامات، وبه تتحقق السعادة الكبرى، استنادا على ما سبق من التعريفات يمكن أن يعرف العرفان بأنه: المنزل[21]، الذي يحققه العبد بالصبر على المجاهدات والرّياضات، فيحظى بالمكاشفات في أحواله كلها فيعرف الحق الذي من أجل معرفته خلق، أما:

ج. **الآداب العرفانية:** فهي جميع ما يتحقق به العبد من فضائل الأخلاق والقيم الروحية والأحوال التعبدية التي تعينه على سير صحيح إلى الله يمكنه من إدامة الترقي في معرفته عز وجل.

من خلال التعريف الاصطلاحي للعرفان تبين أنه غير بعيد عن معني التصوف، إلا أنّ هناك من عمل على التفرقة بين المصطلحين من حيث اللغة والمنهج؛ لذلك وجب الاشارة للعلاقة بين المصطلحين وأسباب التفرقة بينهما.

* **علاقة العرفان بالتصوف:** سبق وأن عرّف العرفان على أنه علم من العلوم الدينية، التي تتعلق موضوعاتها بالله سبحانه وتعالى وبما يتوجب معرفته للوصول إلى معرفة الله تعالى كمعرفة العالم ومعرفة النفس، وهذه المباحث اهتم بها علماء الكلام كما اهتم بها المتصوفة لكن لكل منهم مصدره في المعرفة، «فقد ظهرت كلمة عرفان عند المتصوفة المسلمين لتدل عندهم على نوع أسمى من

المنارة للاستشارات
ww

المعرفة، يلقى في القلب على صورة كشف أو الهام»[22]، أما العرفان كعلم فهو التصوف إلا أن هناك من العلماء من يفرق بينهما «لأسباب قومية أحيانا، تعود إلى الفارق بين أهل إيران وغيرهم، فالإيرانيون يصرون على تسمية الروحانية بالعرفان، وإلى أسباب مذهبية تُرجع التصوف إلى أهل السنة والعرفان إلى الشيعة...وهذه التفرقة غير دقيقة ذلك أن شخصيات مثل ابن عربي و**المولوي**[23] الذي يعتبره أهل العرفان ركنا من أركان العرفان ليسوا شيعة.. بل أن هناك حركات صوفية داخل إيران كما في خارجها»[24]

والسبب في هذا الفصل غير المنطقي أن « العرفان ماثلاً في باطن التصوف على مدى التاريخ، لكن بدأ نبذ الصوفية من أواخر العصر الصفوي، على الرغم من أنّ الملوك الصفويين أنفسهم كانوا من المتصوفة، وقد أشهر الشاه إسماعيل الصفوي –مؤسس السلالة الصفوية– السيف باسم التصوف، لأن بعض ممارساتهم أدّت إلى نبذ التصوف، مثل شيوع التفسير الفقهي للدين وحالة من السطحية تخالف بطبيعتها التصوّف؛ فساهم ذلك كثيراً في تشويه صورة التصوف نفسه، وأطلق بعض أهل السلوك في هذه الظروف اسم العرفان على التصوف وصاروا يدافعون عنه، لكي لا يصنّفوا من المتصوّفة المنبوذين»[25].

ويوضح مرتضى مظهري أحد عرفاء الشيعة أن زمن تسمية هذه الطائفة، أي من يتلقون المعرفة بالكشف والإلهام غير معروف يقول« زمن تسمية هذه الطائفة بالعرفاء فليس لدينا إطلاع دقيق، هناك فقط زمن تسمية هذه الطائفة بالصوفية، وهو في القرن الثاني للهجرة مع أبي هاشم الصوفي»[26].

كذلك حين تعاملت مع **كتب الشيعة التي تناولت العرفان بالدراسة**[27] وجدت أنهم في تصنيفهم لطبقات العرفاء –الذين أسسوا علم العرفان– حسب القرون، يذكرون فقط علماء التصوف من الحسن البصري في القرن الثاني إلى عبد الكريم الجيلي في القرن التاسع، ولم يذكروا بينهم إلا القليل جدا من المتصوفة أو العرفاء الشيعة مثل عبد الرزاق القشاني.

المنارة للاستشارات
ww

وعليه يتضح أن العرفان والتصوف علم واحد، إلا أن هناك اختلاف بسيط وضع له ضياء الدين سجادي –أحد الباحثين الشيعة– تفسيرا منطقيا يوضح الفاصل الدقيق بين التصوف والعرفان يقول« لقد طوّر المسلمون منهج الوصول إلى معرفة الخالق والمنهج المعرفي للسير والسلوك، وظهرت هذه المناهج من خلال مدارس عظيمة تعلم أسلوب السير نحو الخالق من ناحية، وتكامل الإنسانية من ناحية أخرى، فأوجد هذا الفكر المنير والسير والسلوك مناهج فكرية وعلمية سميت بالعرفان، وأوجد طرق سير وسلوك سميت بالتصوف»[28] وبما أن تطبيق الشيء والعمل به يسبق التنظير له، يكون التصوف الذي هو عندهم–الشيعة–سلوك عملي أسبق من العرفان الذي هو منهج يُتبع، وعليه يتضح أن السالك إلى الله الذي قُذفت في قلبه أنوار الحق وكشفت له الحجب، نال القرب فعرف الله فسمي عارفا، فما فاض من وجده قولا وكتابة عن كيفية السير ومعنى الوصول سميّ عرفنًا، وعليه يمكن اعتبار الأحاديث القدسية أسمى النصوص العرفانية المشتملة على منهج متكامل للسير والسلوك يعين المتعبد بحق على معرفة خالقه ونيل رضاه.

وقد يبين عابد الجابري أن التصوف والعرفان الشيعي انبثقا عن **الغنوصية**[29] التي هي «أكبر تيار روحي يربط الأديان كلها»[30] على حد قول **آن ماري شيمل**[31] يقول« فإذا جردنا العرفان الشيعي الاثني عشري والإسماعيلي من مضمونه السياسي، وجردنا التصوف من الشكل البياني الذي ارتداه فإننا سنجد أنفسنا هنا وهناك أمام مادة معرفية تنتمي كلها إلى الموروث العرفاني القديم السابق عن الإسلام»[32] بغض النظر عما يرمي إليه الجابري من تأريخ لنشأة العرفان وسبب تماهيه في الثقافة الإسلامية فهو يؤكد على أنه هو والتصوف أمر واحد.

إذن فالتسمية لن تُشكل الفهم مادام المضمون واحدا والهدف المنشود الذي يُسعى إليه من المنتمين لهذا العلم واحد –سواء سميّ المريد عارفا أو متصوفا – وهو العرفان، الذي يعدّ في التصوف السني الثمرة التي يصبو الصوفي إليها كما تبيّن في تعريف لسان الدين الخطيب للعرفان.

وبعد هذا الطرح من المهم جدا أن يتم التفصيل في كيفية وصول المتعبد إلى هذه الثمرة– العرفان– من خلال التأدب بآدابها التي تذلل الطريق وتكشف أسراره.

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: الأحاديث القدسية:

من قبيل النسبة «يعني أنه أريد أن ينسب اسم إلى آخر زيد في آخره ياء مشددة وكسر ما قبلها»[33]، فنسبة الحديث إلى القدسي لوصفه لأنه «إذا كان الاسم صفة ففي النسبة إليه معنى المبالغة في الصفة»[34]، فالقدسي صفة مبالغ فيها «ذلك أن العرب إذا أرادت المبالغة في وصف شيء ألحقوا بصفته ياء النسب»[35]. وبما أن هذا الإلحاق اللغوي –الحديث القدسي– بغرض التخصيص لأنك «إذا أردت أن توضح شيئا أو تخصصه فإنك تنسبه إلى غيره»[36]، نفهم أن الحديث القدسي نوع خاص من الأحاديث النبوية وذلك لنسبته إلى «**القدُس**: بالضم والضمّتين: الطهر والأرض المقدسة المطهرة» [37]، «تقدس الله تنزّه»[38]، «ونسبة الأحاديث إلى القدس لإضافتها إلى الله وحده»[39]؛ حيث تعرّف بأنها: «ما رواه النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى على غير النسق القرآني ونظمه وإعجازه، ولكنه في نظمه وأسلوبه بسائر الحديث النبوي أشبه»[40].

المطلب الثالث: التعبد:

لغة: جاء في معجم النفائس الوسيط، القاموس المحيط، لسان العرب والمصباح المنير وكذلك في أسس البلاغة مادة (ع. ب. د)بأوجه متنوعة، الفتح والسكون والرفع والتحريك، تحمل معنيين متناقضين نستنتجهما مما يلي:

تعبّد: «تنسك وتذلل»[41]، «وانفرد بالعبادة»[42].

العبد: «نبات طيب الرائحة»[43].

«ويقال عبدت الله عبادة وهي الانقياد والخضوع»[44].

العبد: ضد الحر وجمعه عبيد، وهو جمع عزيز، وتقول عبد بيّن العبودية والعبودة وأقرّ بالعبودية»[45]، «وأصل العبودية الخضوع والذل»[46]، هذا ما ورد بالفتح والسكون، أما مادة (ع. ب. د) بالتحريك تقتضي:

«عبِد: ندم، عبد الشيء: حرص عليه، وعبد به: لزمه ولم يفارقه، عبد ما قاله: أنكره»[47] وتعني أيضا «ملامة النفس»[48].

المنارة للاستشارات

نلاحظ أن مادة (ع. ب. د) بالفتح والسكون دلت على الأفعال الحسنة الفاضلة كالطاعة والتنسك والخضوع والرائحة الطيبة، وبالتحريك دلت على الانفعالات المؤججة للنفس كالغضب والحرص والتشبث بالأشياء، وعليه يمكن القول أن الإنسان كلما سما بهذه الفطرة الموجودة في ذاته – العبادة–؛ حيث يوجهها إلى أصلها وهو الذل والخضوع لله وحده، كانت عامل قوة وتوازن في حياته وصبغة في سلوكه ونجاة في آخرته، أما إذا ترك هذه الفطرة لهواه وشهواته انحدر عن مقامه وتملكته الدنيا فيصير عبدا لما سوى الله.

اصطلاحا: هذه الدلالات اللغوية للجذر (ع. ب. د) نجدها متضمنة في أغلب التعريفات الاصطلاحية، نورد من هذه التعريفات الآتي:

أ. العابد: «هو ذلك الشخص الذي يداوم على أداء الفرائض والنوافل والأوراد من أجل الثواب الأخروي»[49]، هذا الوصف موجود في العارف لكنه يتنزّه عن طلب الثواب والأغراض الدنيوية، «والعبادة عند العارف رياضة ما لهممه وقوى نفسه المتوهمة ليجرها بالتعويد عن جانب الغرور إلى جانب الحق، فتصير مسالمة للسر الباطن ...» [50].

ب. التعبد: «نهاية التعظيم وهي لا تليق إلا في شأنه تعالى؛ إذ نهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام، ونهاية الإنعام لا تتصور إلا من الله تعالى»[51]، وهذا المعنى قريب من العبادة هي «فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيما لربه»[52]، هذان التعريفان تجاوزا المعنى الحسي للعبادة، فعل العبادات من الصيام والقيام وغيره؛ حيث حددا الغاية منها وهي التعظيم المفضي لخضوع وافتقار العبد لربه ما يتوافق تماما والمعنى اللغوي.

وتعريف ابن تيمية للعبودية على أنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة؛ فالصلاة والصيام والحج ... وأداء الأمانة وصلة الرحم والوفاء بالعهود ... وأمثال ذلك من العبادة، وكذلك حب الرسول وخشية الله والإنابة إليه...، وأمثال ذلك هي من العبادات لله»[53]، يوضح وجهي التعبد: الوجه القيمي ما تمثل في التعظيم والخشية والافتقار، والوجه السلوكي ما تمثل في العبادات، فإذا تحقق العبد بالوجهين فقد تعبد، وهذا المفهوم يحاكي معنى العبودية التي عرفت بأنها:

المنارة للاستشارات

ج. **العبودية** «الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود»[54]، هي بهذا المفهوم تحاكي معنى العبادة في تعريف ابن تيمية، إلا أنها في الاصطلاح الصوفي أعلى من العبادة «العبادة لعوام المؤمنين والعبودية لخواصهم»[55]، فهي عندهم «صدور أعمال البر من العبد لله تعالى عاريا من طلب الجزاء، بل عملا خالصا لله تعالى»[56]، أي أن الإخلاص الذي هو بمثابة روح كل العبادة، شرط أساسي لتحقيق الأغراض الجوهرية المطلوبة بالعبادات مثل التقوى والفلاح وغيرها من الأفعال التي تعد من صميم العبودية لله التي تُعرّف كذلك ب: «إظهار التذلل»[57] الذي يعد من الأفعال العزيزة في البشر لذلك اعتبر أهل الطريق «العبودية مقام الذل والافتقار»[58]، فقد عرفها ابن عربي بالذل من تفسيره لقوله تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" قال: «ذلوا لي ولا يذل له من لا يعرفه، فلابد من المعرفة به أولا»[59].

من خلال العرض المركز للدلالات اللغوية للتعبد وتعريفاته يمكن أن يعرف على أنه: **إرادة العبد وجه الله في الأعمال كلها، تقربا إليه ذلا وافتقارا بغية تحقيق العرفان.**

المطلب الرابع: الوصول:

لغة: مثل البلوغ الذي هو منتهى المرور، غير أن في الوصول معنى الاتصال [60].

اصطلاحا: هو حالة من الفناء يعبر عنها بالوصول إلى الله، ليس كالوصول لأحد من خلقه وإنما اسقاط لكل أسباب القربى منه عز وجل، «قال يحي بن معاذ العلماء أربعة: تائب وزاهد ومشتاق وواصل؛ فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه عن الحق شيء»[61]، وهذا قريب من معنى اسقاط التدبير أي «لا يشهد العبد غير خالقه ولا يتصل بسره خاطر لغير صانعه .. فهو مكاشفة القلوب ومشاهدة الاسرار»[62]. وبهذا يكون الوصول هو كامل **التّسليم**[63] للحق سبحانه وتعالي في الأحوال كلها.

المنارة للاستشارات

المبحث الثاني: الاجراءات المنهجية:

المطلب الأول: نوع الدراسة ومنهجها:

تنتمي هذه الدراسة إلى الدراسات الإسلامية عموما، فإنها تسير وفق منهج من مناهج البحث فيها، وهو المنهج التحليلي الذي يقوم على «دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفسيرا أو استنباطا أو نقدا، فإذا كان الإشكال تركيبة منغلقة من التراث والفكر الإسلامي المعاصر، قام المنهج التحليلي بتفكيكها –تفسيرها– وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها، ووظائفها ليركب –يستنبط– منها أصولا ما أو قواعد معينة»[64]. عملية التركيب هذه استنباط –«استنتاج اجتهادي»[65]– اعتمدته بعد استقراء نصوص الحديث القدسي المتضمنة للفظي "عبادي" و"عبدي" بصيغتها المتنوعة، لاستنباط الحقائق والمعاني المتعلقة بالعرفان العملي منها، ثم تفسيرها للوصول إلى قواعد منهجية للسير والسلوك إلى الله وفق منظور إلهي سنني.

المطلب الثاني: المادة التحليلية

تطلبت هذه الدراسة المنهج التحليلي الذي يضم ثلاث آليات وهي التفسير والاستنباط والنقد؛ وحتى أقوم بتوظيف جيد لهذه الآليات توجب تحديد عينة الدراسة لتسهيل الوصول إلى النتائج المرجوة؛ أضف إلى ذلك أن المتغير المستقل في الموضوع يتطلب لقياسه نوع معين من نصوص الأحاديث القدسية التي هي محل الدراسة، فتم اختيار مجموعة من الأحاديث المتضمنة للفظي "عبدي" و"عبادي" لورود الخطاب الإلهي مباشر فيها، كذلك أن هذين اللفظين مشتقان من المصطلح المراد دراسته وهو التعبد، فبعد استقراء الأحاديث القدسية كانت العينة عبارة عن تسعة وعشرين حديثا قدسيا، اشتمل تسعة منها على لفظ "عبادي" وعشرون على لفظ "عبدي"، موضحة في الجدول الآتي:

المنارة للاستشارات
ww

الرقم	نص الحديث	رواه	في: باب/كتاب	تحت رقم	درجته
01	إن لله ملائكة يطوفون في الأرض... فيقول الله على أي شيء تركتم **عبادي** يصنعون ...	البخاري –مسلم	–كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل –الحديث	6408 6780	صحيح
02	أن الله يهمل حتى إذا ذهب من الليل نصفه أو ثلثه قال: لا يسألن **عبادي** غيري من يدعوني استجبت له ...	ابن ماجة	كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء أي ساعات الليل أفضل	1367	صححه الألباني
03	... أبشروا هذا ربكم قد فتح بابا من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول انظروا إلى **عبادي** ...	ابن ماجة	كتاب المساجد والجماعات/ باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة.	801	صحيح
04	أيما عبد من **عبادي** خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن أرجعه إن أرجعته بما أصاب من أجر أو غنيمة وإن قبضته غفرت له ورحمته	النسائي	كتاب الجهاد/ باب ثواب السرية التي تخفق	3126	صحيح
05	حديث المعراج: ... فنودي أني قد أمضيت فريضتي وخففت عن **عبادي** واجزي	البخاري	كتاب بدأ الخلق/ باب ذكر الملائكة	3207	صحيح
06	حديث تحريم الظلم: يا **عبادي** إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ...	مسلم	كتاب البر والصلة والآداب/ باب تحريم الظلم	2577	صحيح
07	أعددت ل**عبادي** الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ...	البخاري	كتاب التفسير/ باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.	4779	صحيح
08	أحب **عبادي** إليّ أعجلهم فطرا ...	الترمذي	كتاب الصوم/ باب ما جاء في تعجيل الإفطار	700	ضعيف
09	الملائكة يتعاقبون ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ... ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم **عبادي** ...	البخاري	كتاب بدأ الخلق/ باب ذكر الملائكة	3223	صحيح

المنارة للاستشارات
ww

10	... فقال الله أنا أحق بذلك منك تجاوزوا عن **عبدي**	مسلم	كتاب المساقاة/ باب فضل انظار المعسر	1560	صحيح
11	إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد **عبدي** ...	الترمذي	كتاب الجنائز/ باب فضل المصيبة إذا احتسب	1021	حسن
12	... ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلّم أباك ... فقال يا **عبدي** تمنّ عليّ أعطيك ...	ابن ماجة	كتاب الجهاد/ باب فضل الشهادة في سبيل الله	2800	حسن
13	أن الله عزّ وجل يقول إن **عبدي** كل **عبدي** الذي يذكرني وهو ملاق قرنه	الترمذي	كتاب الدعوات/ باب الذي يذكرني وهو ملاق قرنه	3580	ضعيف
14	إن الله تعالى قال: إذا ابتليت **عبدي** بحبيبتيه فصبر عوضته عنهما الجنة	البخاري	كتاب المرضى/ باب فضل من ذهب بصره	5653	صحيح
15	قال الله تعالى: من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى **عبدي** بشيء احب إلي مما افترضته عليه ...	البخاري	كتاب الرقائق/ باب التواضع	6502	صحيح
16	إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله صلاته ... قال الرب عزّ وجل انظروا هل ل**عبدي** من تطوع ...	الترمذي	كتاب الصلاة/ باب ما جاء أن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة	413	صحيح
17	إن العبد إذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن قال الله تعالى هذا **عبدي** حقا	ابن ماجه	كتاب الزهد/ باب التوّقي على العمل	4200	ضعيف
18	إن عبد أذنب ذنبا فقال ربي إني أذنبت فاغفر لي فقال ربه أعلم **عبدي** أن له رب يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي	البخاري	كتاب التوحيد/ باب كلام الرب مع جبريل	7507	صحيح
19	إن الله عزّ وجل يقول أنا مع **عبدي** إذا هو ذكرني ...	ابن ماجة	كتاب الأدب/ باب فضل الذكر	3792	صحيح
20	إن الله عزّ وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت أن **عبدي**	مسلم	كتاب البر والصلة والآداب/ باب فضل عيادة المريض	2569	صحيح

المنارة للاستشارات
ww

	فلان مرض فلم تعده ...				
21	إن الله قال إذا تلقاني **عبدي** بشبر تلقيته بذراع ...	مسلم	كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب الحث على الذكر	2675	صحيح
22	أنه ﷺ عاد رجلا من وعك كان به فقال أبشر فإن الله يقول هي ناري أسلطها على **عبدي** المؤمن	ابن ماجة	كتاب الطب/ باب الحمى	3470	صحيح
23	قال الله تعالى إذا أحب **عبدي** لقائي أحببت لقاءه ...	البخاري	كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله	7504	صحيح
24	أنا عند ظن **عبدي** بي.	البخاري	كتاب التوحيد/ باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله	7505	صحيح
25	إذا تحدث **عبدي** بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل ...	مسلم	كتاب الإيمان/ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت له وإذا هم بسيئة لم تكتب	129	صحيح
26	يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين **عبدي** ...	مسلم	كتاب الصلاة/ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة	395	صحيح
27	... انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة، يخاف مني قد غفرت لعبدي ...	ابن داوود	كتاب تفريع ابواب الصلاة/باب الآذان في السفر	1203	صحيح
28	يقول الله تعالى: ما ل**عبدي** المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة	البخاري	كتاب الرقاق/ باب لا عيش إلا عيش الآخرة	6424	صحيح
29	عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله ... فيقول الله عزّ وجل لملائكته انظروا إلى **عبدي** رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهرق دمه	ابن داوود	كتاب الجهاد/ باب في الرجل يشري نفسه	2536	حسن

المنارة للاستشارات
ww

المبحث الثالث: آداب السير والسلوك في الأحاديث القدسية:

الأحاديث القدسية في مجملها آداب ومواعظ، حتى أن لأبي حامد الغزالي كتاب عنْونه بـ"الموعظة في الأحاديث القدسية"، عبارة عن سرد جملة من الأحاديث، استهل الله عز وجل الخطاب فيها بـ: "يا بن آدم" عقبه وعظ وإرشاد، والسير والسلوك إلى الله من المواضيع التي تناولتها هذه الأحاديث ضمنيا وصراحة، حيث تضمنت خطاب الله تعالى لعباده بإضافتهم إليه، فاتّضح بالتأمل والتفسير جملة من آداب السير التي تخلّق بها السالكون وهي العزلة والبذل واحتمال المكاره والصبر على البلاء والعطف على الخلق، ويعد بعض منها آليات لمجاهدة النفس لتتحقق بكل آداب السير، ومن الأحاديث القدسية التي بيّنت منهج التعبد وتناولت:

المطلب الأول: أدب البذل والتجاوز عن الخلق والرأفة بهم:

ما رواه **حُذَيْفَةَ، قَالَ: "أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا، قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي"**[66]، حديث حذيفة هذا مذكور عند مسلم في فضل ثواب إنظار المعسر، «والإنظار التأخير: يؤخره ويملئ له الأجل، وكذلك التنفيس عنه أي يفرج عنه، والتجاوز: المسامحة في الاقتضاء»[67]، فالله قد تجاوز عن عبده بتجاوز العبد عن بعض خلقه وحسن معاملتهم، « فقد غفر الله ذنوبه لأنه تعالى لا يحتقر شيء من فعل الخير، والله قد يفسح لعبده ويتجاوز عنه وينجّيه من عذابه بالقليل من عمل الخير، كمثل هذا الذي اعترف أنه لم يعمل من الخير شيئا إلا هذه المسامحة والإنظار»[68]، هذا العمل ليس من الخير القليل لأنه يشمل عدّة آداب وأخلاق، لا يحصّلها العبد هكذا وإنما بكثرة اجتهاد ومجاهدة، فالتجاوز عن الخلق إنما هو عين البذل والرأفة ،كما أنه من صفات الله التي لا يتحلى بها إلا عبد محقق للعبودية له تعالى، عارف بأسمائه وصفاته قاصد الوصول إليه بهذا الفعل، وإنما استصغر فعله لأن أمام كرم الله ل لم عمل.

والحديث فيه حث للعباد للتأدب بهذا الأدب، فالتجاوز عن الناس سواء في المعاملات المالية أو غيرها يدل على الزهد في الدنيا عدم الالتفات لشهواتها؛ فلن يتجاوز عن الناس ويعفو عنهم من

المنارة للاستشارات
ww

غلبته نفسه وملكته دنياه، فهو عبد لها لن يجد راحة في بذلها.

وبما أن من آداب الوصول إلى الله خدمة عبيده وحسن معاملتهم –ما يكسب السالك قوة لركوب نفسه، فتعويدها البذل يحقق الاشتغال بعبادة الله عن تلبية هواها– فإن الله جل وعلا منح لعبده القاصد إليه شرفا عظيما بأن أرشد ابن أدم لخدمته، وحسن معاملته، ويتّضح هذا المعنى في حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**"[69]، في هذا الحديث جزاء الله لعباده الذين تأدبوا في السير إليه بحسن معاملة خلقه، فأكرمهم بأن أرشد خلقه لخدمتهم «فأضاف البارئ سبحانه وتعالى إلى نفسه "المرض" تشريفا لعبده وتقريبا له، والعرب إذا أرادت تشريف أحد حلّته محلها، وعبرّت عنه كما تعبر عن نفسها.. أما قوله **لو عدته لوجدتني عنده** فإنه يريد ثوابي وكرامتي.. و **لوجدت ذلك عندي** أي ثواب ذلك وجزاءه»[70]، ففضلا عن تشريف الله عبده بنسبته وما يصيبه إليه، فقد شرّفه بأن طلب من العبيد أن يخدمونه ويحسنون معاملته، بل أكرمه بأن جعله سببا في نوالهم لخير الجزاء على هذه الخدمة.

يستفاد من الحديث أن معاملة عباد الله بالحسنى، والسعي في خدمتهم والتقرب منهم يقرب من الله والشاهد **لوجدتني عنده** فيه دلالة على مكانة عباد الله عند ربهم، أنهم من المقربين وهذه القربى لم تكن تفضيلا لهم من غير سبب، إنما كانت بإتباع صراط الذين أنعم الله عليهم، من امتثلوا للأمر واجتنبوا النهي واتبعوا الهدى، ويتمثّل إتباع الهدى في أدب البذل والمجاوزة وكذلك أدب الصمت والسهر والجوع والعزلة ولا يتحقق السالك بهذه الآداب إلا بالمجاهدة ويستفاد:

المنارة للاستشارات

المطلب الثاني: أدب العزلة:

من حديث **عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:"يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ"**[71] في الحديث دلالات واضحة على نوع العلاقة التي يرضاه الله من عبده، فقوله «يعجب ربك: يرضى.. والتعجب على الله محال إذ لا يخفى عليه أسباب الأشياء والتعجب إنما يكون مما يخفى سببه فالمعنى: عظم ذلك عنده وكبر...فالخطاب عام من راعي غنم اختار العزلة من الناس في رأس شظية بجبل.. يؤذن للصلاة وفائدة تأذينه شهاده الخلق على توحيده»[72].

والشاهد هنا رضا الله عن عبده الذي ترك الخلق ومخالطتهم، والدنيا وملذاتها زاهدا فيها ليتعبد ربه منفردا، فقوله **في رأس شظية** دلالة على الخلوة والانعزال عن الخلق، وهذا أدب من أدب الأنبياء والصديقين مع ربهم في عبادته، كما أنه يعد شرط في لزوم الطريق إلى الله «فالخلوة صفة أهل الصفوة، والعزلة من أمارات الوصلة، ولابد للمريد في ابتداء حالة من العزلة عن أبناء جنسه، ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه ومن حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس من شره، ولا يقصد سلامته من شر الخلق، فإن الأول من القسمين نتيجة استصغار نفسه، والثاني شهود مزية على الخلق، ومن استصغر نفسه فهو متواضع، ومن رأى لنفسه مزية على أحد فهو متكبر»[73].

كما أن العزلة تتطلب أدبا مع الله وهو دوام ذكره وأداء العبادات واستشعار حضوره، وهذا واضح في فعل هذا العبد إذ أذّن للصّلاة معلنا للكون أنه مستأنس بربه ممتثل لأمره مؤدي لعبادته، فرضي الله عن فعله هذا وباهى به الملائكة «**أنظروا إلى عبدي هذا:** تعجيب الملائكة من ذلك، والأمر بعد التعجب لمزيد التفخيم وقوله: **يخاف مني** يفعل ذلك خوفا من عذابي لا ليراه أحد»[74]،كما أنها تضفي على السالك صفاءً فكريا يُعينه على التأمل في ملكوت ربه ما ييسر له تحصيل مقامات التعبد، وذلك بملازمة الذكر سر هذه العزلة، فقد ذكر **ابن عجيبة**[75] للعزلة عشر فوائد منها« التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر، ولاشك أن العبد إذا كان وحده تفرّغ

المنارة للاستشارات

لعبادة ربه وانجمع عليها بجوارحه وقلبه لقلة من يشغله عن ذلك...وتمكن من التفكر والاعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة»[76].

ويدل **هذا الحديث**[77] كذلك على أدب مهم للسير والسلوك إلى الله بل يعد ركنا أساسيا في تحقيق التعبد الذي إذا تحقق وفق مراد الله تعالى كان سبيلا إلى معرفته، هذا الأدب وهو المواظبة على العبادات ويظهر واضحا في بعض الأحاديث القدسية .

المطلب الثالث: المواظبة على العبادات:

عبادة الله سبحانه وتعالى كما طلب والعمل على التحقق بها سبيل لمعرفته، كما أن تطبيق الشريعة وفقه هديه من أساسيات سلوك الطريق «فإيثار الشريعة إيثار الله ورسوله، وإيثار الطريقة أن لا يريد العبد من الحق إلا ما يريده الحق له، وإيثار الحقيقة إيثار الله... والشريعة التزام العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية...والشريعة أقوال والطريقة أفعال والحقيقة أحوال»[78]، وعليه فإن ما دلت عليه الأحاديث القدسية يؤكد على التزام البداية وهي الشريعة، والحث على تطبيقها وبيان الجزاء عليها، لأن بفعلها يُسلك الطريق وتنعكس ثمارها أحوالا على السالك قولا وفعلا وعملا فعَنْ **مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَيْنَما أَنَا عِنْدَ البَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ، وَاليَقْظَانِ – وَذَكَرَ: يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ –، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ، دُونَ البَغْلِ وَفَوْقَ الحِمَارِ: البُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، وَلَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ...، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جِئْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلاَةً، قَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَسَلْهُ، فَرَجَعْتُ، فَسَأَلْتُهُ، فَجَعَلَهَا أَرْبَعِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ، ثُمَّ ثَلاَثِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عِشْرِينَ، ثُمَّ مِثْلَهُ فَجَعَلَ عَشْرًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى، فَقَالَ: مِثْلَهُ، فَجَعَلَهَا خَمْسًا، فَأَتَيْتُ مُوسَى فَقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: جَعَلَهَا خَمْسًا،**

المنارة للاستشارات
ww

فَقَالَ مِثْلَهُ، قُلْتُ: سَلَّمْتُ بِخَيْرٍ، فَنُودِيَ إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الحَسَنَةَ عَشْرًا[79]. الحديث يروي تفاصيل حادثة العروج ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء:1] وكذلك يروي حادثة أخرى تكررت مع النبي ﷺ وهي حادثة شق الصدر التي كانت في هذا المقام بغية إرادة العروج «وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة»[80]، ويحتمل منه أن السير إلى الله يستوجب تنقية كاملة للقلب، فيُفرغ من كل شواغل الدنيا حتى لو كانت لله، فانشغاله بالله ولله ومع الله في كل أحواله ﷺ، لكن حين يرتفع المقام ويزيد القرب يحتاج القلب تزكية خاصة من الله، حتى يكون أهلا للقرب منه تعالى كما يحب ويرضى، هذه التنقية أو «الملء يحتمل أن يكون على الحقيقة، قوله مملوء إيمانا وحكمة معناه أن الطست كان فيها شيء يحصل به زيادة في كمال الإيمان وكمال الحكمة»[81].

هذا الأمر الجلل حصل في حقه ﷺ كامل التزكية طاهر السريرة حتى يحصل القرب خالصا، فكيف بعبد تتجاذبه أهواء نفسه وهو في جهاد دائم معها ! وفي هذا إشارة قوية إلى عظم التزكية والاشتغال بكل ما يجعل القلب صالحا لعبادته تعالى، والشاهد أن الغاية من العروج بالنبي وشق صدره هي تلقي ما يتوصل به إلى معرفته تعالى والقرب منه وهي العبادة، فلشأنها وعظيم منزلتها خرقت للحصول عليها العوائد« فقد جعلت القصة من خوارق العادات على ما يدهش سامعه فضلا عمن شاهده»[82].

وفي آخر هذه الحادثة كان قوله تعالى **أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي** الذي يدل على قوة هذه الفريضة ومكانتها في الهدي كله، إذ هي مفتاح الوصول إليه تعالى فقوله **خففت** قول عظيم، و**عن عبادي** يدل على أن من لم يتحقق بالعبودية له تعالى لن يدرك عظمة هذا التخفيف، ويظل مستثقلا للعبادة، فمتى عظُمت العبادة في قلب العبد وأداها على وجهها المطلوب، يُسر له الترقي فيها من عبادة بالجوارح إلى عبادة بالقلب فيحصل التعبد المفضي لمعرفة الحق بأسمائه وصفاته.

ومن أعظم العبادات الصلاة؛ فقد فرضت بغير واسطة من الله إلى رسوله ليلة الإسراء –كما تقدم– كما أنها أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة، وقد ورد هذا في حديث عن **أبي هريرة قَالَ:**

المنارة للاستشارات
ww

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ[83].

يقوي هذا الحديث معاني الحديث الأول ودلالته، ويؤكد على كرم الله لعباده، فقد خفف عنهم الفريضة أول ما افترضها ووسع عليهم أن جعل لهم سبل غير الصلوات الخمس لزيادة التقرب منه، والمحافظة على وقع الفريضة، فقوله أنظروا هل لعبدي من تطوع يدل على ما زاد مما افترضه الله عليه وهي النوافل ما يُحصّن بها الفرائض، ويَسد بها مداخل الشيطان في الدنيا، ويكمّل بها ما انتقص من الفريضة ليكتمل الأجر في الآخرة «ويحتمل أن يراد به ما انتقصه من السنن»[84] لأن من سلك طريق العبودية لله وأدرك سبل الوصول، لا يُتصور في حقه أن يفرّط في الفرائض، فهو من السائرين السابقين بالخيرات، وأول هذه الخيرات لزوم الطاعة والترقي فيها ما يجعل النوافل عنده بمنزلة الفرائض، وتمسك العبد بعبادة ربه كما أمره طاعة وامتثالا جعل الله يباهي به ملائكته **فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْرِعًا، قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ:"أَبْشِرُوا، هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى**[85].

وفي هذا الحديث ملمح آخر على **أدب المواظبة على العبادات** وهو« الترغيب في مكث المصلي في مصلاه لإطالة ذكر الله تعالى... وهذا يدل على أن المراد بالجلوس من صلاة الفرض انتظار صلاة أخرى لم تأت»[86] والبقاء في مكان الصلاة لاستقبال صلاة أخرى يدفع لتأمل الوقت الفاصل بين الصلاتين فيما يمضي؟ فمن آثر البقاء في مصلاه على الانصراف للاشتغال بشؤونه الدنيوية، وجد لذة تغنيه عمّا في الدنيا من متاع وزينة.

هذا الانتظار فيه إشارة إلى **أدب الزهد في الدنيا**، الذي هو أول مقامات السالكين، فمن شغله ذكر الله عن شواغل دنياه قد ابتدأ في العزم على السلوك إلى ربه، فجعل من عبادته حالا له،

المنارة للاستشارات
ww

ودليل هذا ما جاء في حديث آخر **لأبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "المَلاَئِكَةُ يَتَعَاقَبُونَ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ، وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي، فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ**[87].

تكرر سؤال الله لملائكته عن حال عباده في أحاديث كثيرة حتى«أظهر لهم ما سبق في علمه بقوله: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ ﴾[البقرة: 30]، وهذه حكمة اجتماعهم في هاتين الصلاتين، أو يكون سؤاله لهم استدعاء لشهادتهم لهم، ولذلك قالوا: (أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) . وهذا من خفي لطفه وجميل ستره، إذ لم يطلعهم إلا على حال عبادتهم، ولم يطلعهم على حالة شهواتهم وما يشبهها»[88]، فقولهم **تركناهم يصلون وأتيناهم يصلون** لا يدل على صلاة الفريضة وحسب وإنما يدل على ملازمتهم للعبادة بأنواعها، فهذا الانتظار ثمنه ليس بهين فهو ناتج عن مجاهدة للنفس، فلو كان سهلا يسيرا لما تم الإرشاد عليه في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ **وانتظار الصلاة إلى الصلاة فذلكم الرباط**[89]، بغية التذكير بجميل ما يتصل به العبد بربه ويوصله إليه، والاتصال والوصول الدائم ذكرهما هنا لا يُتصور أنه اتصال حقيقي كاتصال الذوات وإنما هو فناء عن النفس والخلق واشتغال العبد بعبادة المحبوب، ويوّضح ابن القيم الجوزية هذا المعنى بدقة في مدارج السالكين يقول: «مراد القوم بالاتصال والوصول: اتصال العبد بربه ووصوله إليه لا بمعنى اتصال ذات العبد بذات الرّب، كما تتصل الذاتان إحداهما بالأخرى...وإنما مرادهم بالاتصال والوصول إزالة الخلف والنفس عن الطريق والسير إلى الله ولا تتوهم سوى ذلك فإنه عين المحال، فإن السالك لا يزال سائرا إلى الله حتى يموت، فلا ينقطع سيره إلا بالموت فليس في هذه الحياة وصول يفرغ معه السير وينتهي، وليس ثمة اتصال حسي بين ذات العبد وذات الرب فالأول تعطيل وإلحاد والثاني حلول واتحاد وإنما حقيقة الأمر تنحية النفس والخلق عن الطريق، فالوقوف معهما هو الانقطاع وتنحيتهما هو الاتصال»[90].

ابن القيم يؤكد بوضوح على معنى الفناء عند الصوفية، من غير أن يصطلح عليه بمصطلحهم نفسه فالتّنحية عنده تماثل الفناء تماما لأن الغرض واحد؛ وهو البقاء بالله والفناء عن كل الشواغل بما

المنارة للاستشارات

فيها النفس، ويضيف فائدة في غاية الأهمية أنْ ليس لهذا السير منتهى إلا بالموت، وهذا يستقيم وطلب الله العبادة من خلقه، فمن حقق الطّلب والتزم بالعبودية لربه وامتثل لهديه لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن ينقطع عن خضوعه وتذلّله لربه لمجرد معرفته به أو تحصيله لأعلى مقامات السائرين، لأن الغاية هي معرفة الله ومعرفته لا حد لها ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: 11] كذلك يعتبر ردا على بعض غلاة الصوفية القائلين بسقوط الفرائض وكل العبادات بمجرد الوصول مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر: 99] .

وتبقى العبادات مليئة بالرحمات الربانية لاشتمالها على أسرار الوصول إليه سبحانه، فأداؤها كما أمر الله وطلب يعّد مفتاحا للطريق، وقد جعل الله الصلاة قسمة بينه وبين عبده لما تضمنته من معاني الخضوع والتذلّل والاستعانة به ودوام ذكره فعن **أبي هريرة سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي – فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**[91].

يُجمل الحديث قيم العبادة عموما ويوضح رِفعة الصلاة ومنزلتها، « فالصلاة هي إدامة ولاء العبودية للحق تبارك وتعالى وهي أيضا استحضار العبد وقفته بين يديّ ربه...فالله سبحانه وتعالى يريد منّا الولاء دائما فإذا كنت تعتز بالله فأنت تديم الولاء له باستمرار الصلاة»[92]، فقوله تعالى **قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين** يدل على كرمه تعالى وجزيل فضله، فالمعلوم أنه جل وعلا لا تنفعه عبادة عباده ولا تضره معصيتهم له، فالقسمة تشير إلى عظم هذه العبادة، فقد سبق أن توضّح أنها فرضت بعد أن شُقّ صدره ﷺ وأسري به كما أنه تلقى الأمر بها مباشرة من ربه على غير العادة فيما يلقى إليه من وحي، فالتأمل في كيفية فرضها وما تحتويه من معاني إيمانية تُمكن العبد من تحقيق العبودية يتضح أن كلها للعبد، لأن قوله تعالى **ولعبدي ما سأل** يؤكد على ما هو أعمق

المنارة للاستشارات

في الصلاة وسرها وهو **الدعاء**[93] «فالله في عطائه يحب أن يطلب منه الإنسان ويدعوه ويستعين به وهذا يوجب الحمد ويقينا الذل في الدنيا»[94]، فلولا الدعاء لما ظهرت حاجة العبد لربه وحمْده له على عطائه، فقول الله **حمدني عبدي** ثناء من الله لعبده لأنه «حمد الله تعالى وأثنى عليه بحمده وحصر العبادة والاستعانة فيه وحده لا شريك له، والحمد خالص دون كل ما برأ من خلقه على النعم الظاهرة والباطنة، فاستغرق جميع أنواع الحمد وصنوفه لله تعالى وهذا الحمد إنما هو عمل صالح من العبد، فلما حمده كان حمده هذا من أجل الأعمال الصالحة وأي عمل صالح أعظم من حمد رب العالمين المالك المتصرف في كل ما خلق في جميع العوالم»[95].

الأحاديث القدسية السابقة أرشدت إلى أقوى أدبين للسير والسلوك وهما العزلة والمواظبة على العبادات فإذا اعتزل العبد المريد الخلق والدنيا وزهد فيهما ولزم أداء العبادات، فُتح له باب الذكر ما يُمكنه من ورود الطريق، فيكون من جملة المنقطعين إلى الله، ويبدأ في تحصيل مقامات السائرين ما يوصله إلى المحبة **فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:"قَالَ اللَّهُ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ**[96] «فمحبة الله لعبده إرادته الخير له وهدايته إليه وإنعامه عليه، وكراهته له على الضد من ذلك»[97] ومن إنعامه تعالى على عبده ومحبته له توفيقِه لعبوديته وهدايته لطريق معرفته، ومراحل هذا الطريق التي تتجلى فيها محبة الله لعبده وتتجسد فيها محبة العبد لربه هي:

المبحث الرابع: المقامات العرفانية في الأحاديث القدسية (مراحل السير والسلوك):

اشتملت الأحاديث القدسية على أهم مقامات الطّريق، ودعت إليها بمدح العباد المتحققين بها، فأول ما يبدأ به المريد طريقه لربه هو السعي في تحصيل:

المطلب الاول: مقام التوبة:

التي لا تكون إلا بعد أن يحقق المريد عبوديته لربه ويعرفه بأسمائه وصفاته ويتأدب بجملة من الآداب فعن **أَبَي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ قَالَ: "إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا – وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا – فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ – فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا، أَوْ أَذْنَبَ**

المنارة للاستشارات
ww

ذَنْبًا، فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ – أَوْ أَصَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ؟ فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا، وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْبًا، قَالَ: قَالَ: رَبِّ أَصَبْتُ – أَوْ قَالَ أَذْنَبْتُ – آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاَثًا، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ[98]، تكرر إنابة العبد إلى ربه دليل على **الانتباه** وعدم الغفلة، فعلمه بصفات ربه –نتيجة لتحققه بالعبودية– يجعله دائم العودة له راجيا رحمته بذكره« قال القرطبي يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارنا للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة ويشهد له حديث خياركم كل مفتن تواب ومعناه الذي يتكرر منه الذنب والتوبة فكلما وقع في الذنب عاد إلى التوبة لا من قال أستغفر الله بلسانه وقلبه مصر على تلك المعصية فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى الاستغفار»[99]، ومن علامات التوبة قطع أسباب الهوى، والحديث يشير إلى بدايات العبد في سلوك الطريق، فتكرر الذنب والرجوع عنه دليل على أن هذا العبد لا يزال في جهاد لنفسه وهواه، لم يقطع أسباب هواه وشهوات نفسه بعد، لكنه موقن بكرم ربه، فهو يعود له تائبا محسنا الظنّ به رغم إصابته الذنب، متوسلا بالدعاء والاستغفار فغفر الله له، وقوله تعالى: **فليعمل ما شاء** «يعني فليعمل ما شاء من الذنب والتوبة منه، فكلما أذنب الإنسان وتاب فإن الله يتوب عليه، وإذا عاد إلى الذنب فإن التوبة الأولى لا تنخرم ولا تنهدم لكن يجب أن يجدد للذنب الثاني توبة، وقوله: فليعمل ما شاء ليس المعنى فليعمل ما شاء من الذنوب والمعاصي، وإنما فليعمل ما شاء من هذا العمل الذي كان يناجي الله به»[100].

هذه توبة أول الطريق؛ إقلاع عن الذنوب والمعاصي ومجاهدة النفس بالسهر والجوع والصمت، وهناك توبة في نهاية الطريق وهي توبة عن توبة يقول ابن القيم« إنما غاية مقام السالكين التوبة التي هي بدايات منازلهم، ولعل سمعك ينفر من هذا غاية النفور...أنسب أعمالك وأحوالك وتلك المنازل التي نزلتها والمقامات التي قمت فيها –لله وبالله– إلى عظيم جلاله وما يستحقه وما هو أهل له، فإن رأيتها وافية بذلك مكافئة له فلا حاجة حينئذ للتوبة، والرجوع إليها رجوع عن

المنارة للاستشارات
ww

المقامات العلية.. ورجوع من غاية إلى بداية، وما ذلك ببعيد عن كثير من المنتسبين إلى هذا الشأن المغرورين بأحوالهم ومعارفهم وإشاراتهم، وإن رأيت أن أضعاف ما قمت به من صدق وإخلاص وإنابة وتوكل وزهد وعبادة لا يفي بأيسر حق له عليك، ولا يكافئ نعمة من نعمه عليك، وأن ما يستحقه بجلاله وعظمته أعظم وأجل مما يقوم به الخلق، فأعلم أن التوبة نهاية كل عارف وبداية كل سالك، وكما أنها بداية فهي نهاية والحاجة إليها في النهاية أشد»[101]، وعليه فإن تحصيل التوبة أس السير كله من البداية إلى النهاية، فالتائب عارف بربه خائف منه راجي له، محتاج لمراجعة نفسه ومحاسبتها ليس على تقصيرها فقط، وإنما على كيفية أدائها للعبادة وتمثلها للطاعة حتى ينال الرضا من ربه وينعم بالمحبة مستعينا للوصول إلى هذا المقام وغيره بالتوبة.

ومفتاح الطريق آداب « يقول أبو حفص الحداد النيسابوري: التصوف كله آداب؛ لكل وقت أدب ولكل مقام أدب، ولكل حال أدب، فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيّع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن القبول» [102] ،فلما كانت التوبة بداية وغاية فإنها حاصلة بآداب وقائمة على مقام آخر وهو الاستغفار الذي تكرر في الحديث السابق ذكره «فالاستغفار مقام بعد الندم لأنّ الندم من أعمال الباطن يترك رقة في القلب ودمعا في العين، فإذا ارتفع في مقامه هذا اعترف بلسانه بالاستغفار عن ذنوبه»[103]

والاستغفار من قبيل الذكر الذي يعّد –هو كذلك– من أجل المقامات فهو ممتد كالتوبة يحتاجه السالك من بداية الطريق إلى نهايته، وقد جعله القشيري قاعدة للسير وبداية كل مقام فقد سمّاه –كما سبق وذُكر– مقام الذكر وامتداده وهذا المقام اعتنت به الأحاديث القدسية أيما عناية، فقد أشارت إليه في أحاديث خاصة بمقامات معينة، وحثت عليه في أحاديث أخرى على وجه الخصوص.

المطلب الثاني: مقام الذكر:

من هذه الأحاديث ما روي **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ "إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ" قَالَ: «فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا» قَالَ: "فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ، مَا**

المنارة للاستشارات
ww

يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ" قَالَ: "فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟" قَالَ:"فَيَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ؟" قَالَ:"فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟" قَالَ:"يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا" قَالَ: "يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟" قَالَ: «يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ» قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: " يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ" قَالَ: "يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا" قَالَ: "يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟" قَالَ: "يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً" قَالَ: "فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ" قَالَ: "يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ[104]، ومرة أخرى يتكرر سؤال الله لملائكته عن عباده وهو أعلم سبحانه بجميع أحوالهم، فسؤاله ينبئ بأنه يباهي الملائكة بما سيخبرونه به عنهم، فقوله عبادي دليل على أن ما سيأتي بعده هو مدح وتشريف، وقوله ﷺ يطوفون بالطرقات يلتمسون أهل الذكر فيه إشارة إلى أن عبادة الذكر لا يلزمها مكان معين أو شروط وأركان كالصلاة والصيام والحج...الخ، وإنما هو من العبادات القلبية الخفية، فهو على يسره إلا أن ملازمته تحتاج إلى مجاهدة، فبالكثرة ذكره الله في كتابه، قال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:35]، أي أن ثماره تتجلى ظاهرة على العبد إذا كان من المكثرين «والمراد بالذكر هنا الإتيان بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها والإكثار منها مثل الباقيات الصالحات.. ويطلق الذكر ويراد به المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب عليه...ثم يقع الذكر تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ولا يشترط استحضاره لمعناه ولكن يشترط أن لا يقصد به غير معناه وإن انضاف إلى النطق الذكر بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله ونفي النقائص عنه ازداد كمالا، فإن وقع ذلك في عمل صالح مما فرض وصحّ التوجه وأخلص لله تعالى في ذلك فهو أبلغ الكمال»[105].

المنارة للاستشارات

يبين ابن حجر أن للذكر درجات حسب أحوال العبد، وأبلغ درجة إذا كان مقرونا بالأعمال الصالحة لا مجرد نطق وأن يصاحبه صدق التوجه لله، وصدق التوجه دليله قوله تعالى: **هل رأوني** يعني أن ذكرهم لربهم لم يكن مجرد قول باللسان وإنما يذكرونه في جميع أحوالهم قولا وعملا مستشعرين مراقبته لهم، فالذاكرين حصّلوا بذكرهم **مقام المراقبة** وهو:« إدامة علم العبد باطلاع الرب، أو القيام بحقوق الله سرا وجهرا خالصا من الأوهام، صادقا في الاحترام وهي أصل كل خير وبقدرها تكون المشاهدة، فمن عظمت مراقبته عظمت بعد ذلك مشاهدته»[106]، وعليه فالرؤيا «ليست بصرية وإنما هي الرؤية القلبية»[107] وهي **مقام المشاهدة**، ويؤكد هذا المعنى حديث الرسول مع حارثة حين قال له حارثة **كأني أرى عرش ربي حقا**[108] ولم يقل رأى لأن مشاهدته للعرش لم تكن حقيقية، وإنما يمكن القول أنه أصبح فانٍ عن الخلق والدنيا باق بربه فكان التعبير بـ: كأن.

وقوله تعالى عن الذاكرين أنه **لا يشقى بهم جليسهم** « مبالغة في نفي الشقاء عن جليس الذاكرين، فلو قيل سعد بهم جليسهم لكان ذلك في غاية الفضل، لكن التصريح بنفي الشقاء أبلغ في حصول المقصود»[109] وفي الحديث دلالة على أن مغفرة الله لعباده الذاكرين نتيجة لتوحيدهم وإيمانهم العميق بربهم ومعرفتهم له بأسمائه وصفاته، لأن قوله تعالى –حين سأل عن رؤية عباده للجنة والنار– **كيف لو أنهم رأوها** ! يدل على كمال ذكرهم وامتداده فلو كان باللسان فقط لما جاء السؤال بصيغة التعجب؛ أي أن عباده لم يرو الجنة ويسألوه إياها، ولم يرو النار ويتعوذون منها، متوسلين إليه تعالى بصدق الدعاء والذكر وكأنهم رأوهما فغفر لهم لأنهم لو رأوهما لكانوا أشد ذكرا، وجزاء الله للذاكرين لم يتوقف على المغفرة وحسب؛ بل يمتد ليشمل معيته تعالى لعبده في الدنيا والآخرة **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ**[110]، فالمعية مشروطة بالذكر، فغير الذاكر منقطع عن ربه محروم من عون الله وفضله فمعيته تعالى تعني «أنا مع عبدي عونا ونصرا وتوفيقا وتأييدا أو تحصيلا لمرامه»[111] وهذا يدل على أن الذاكر لربه محسن الظن لأنه يذكره متوكلا عليه غافلا عمّا سواه.

المنارة للاستشارات

لذلك قرن الله ظن عبده به بذكره ففي رواية **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "قَالَ اللَّهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**[112] "«معناه عند ظنه بالغفران له إذا استغفرن والقبول إذا أناب إلي والإجابة إذا دعاني والكفاية إذا استكفاني لأن هذه الصفات لا تظهر من العبد إلا إذا أحسن ظنه بالله وقوي يقينه»[113].

ويقين العبد يقوى بمعرفة ربه التي هي ثمرة العبودية له تعالى، وبما أن الخطاب في هذه الأحاديث جاء بلفظ العبد مضافا إلى الله تعالى فإن المخاطب عارف بربه ظانا به خير، والغرض هنا تذكير لأنه مهما كان العبد من المتقين فإن شهواته تتجاذبه ووساوس نفسه تساوره وليس له إلا أن يحسن الظن بربه، ولقد جاء الحديث بلفظ آخر عند مسلم **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**[114] فالذاكر في امتداد ذكره يحصل عدّة مقامات منها مقام المراقبة والمشاهدة ومقام الشكر والفناء كما اتضح في الفصل السابق فقوله تعالى «وأنا معه حين يذكرني معناه معه بالقرب والمشاهدة والذكر بالقلب، لأنه إذا شاهده بقلبه ذكره بلسانه.. وفي نفسي: تكون بمعنى الذات أي بمعني الغيب وهو في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ [المائدة: 116]، أي تعلم غيبي ولا أعلم غيبك، فيصح أن يراد بالحديث ها هنا أن العبد إذا ذكر الله عز وجل خاليا بحيث لا يطلع عليه أحد قضي له بالخير»[115]، ويستفاد من قوله تعالى: **ذكرني في نفسه** أدب العزلة التي سبق الحديث عنه، وباقي الحديث «فمجاز كله.. والمراد: من دنى مني بالطاعة دنوت منه بالإنابة وكنت بالإنابة أسرع منه في الطاعة، أو أن من أتاني بحسنة جازيته بعشر»[116] وفي الحديث معنى يماثل ما يختص به العبد السالك لربه «يقول القاضي عياض: أن معنى قوله تعالى من تقرّب إلي شبرا أي بالقصد والنيّة قرّبته توفيقا وتيسيرا ذراعا، ومن تقرّب بالعزم والاجتهاد ذراعا قرّبته بالهداية والرعاية باعا، ومن أتاني

المنارة للاستشارات
ww

معرضا عمن سواه مقبلا إليّ أدنيته وحلت بينه وبين كل قاطع وسبقت به كل مانع»[117] فهذه الأحوال هي التي تطرأ على العبد السالك، فيكون في أول سيره قاصدا بالنية وهو المبتدئ، وفقه الله إلى درجة أرقى وهي التيسير له في التقرب بالعزم والاجتهاد وهنا يسمى مريدا امتلك وسائل المجاهدة ما يمكنه من الارتقاء والتقرب بتوفيق الله إلى الله بإعراضه عما سوى الله، فيكون بعبادته لله مشتغلا عن كل شاغل، وهذا هو السر إلى الله نيّة وعزما من العبد وتوفيقا وفضلا من الرب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٢١ ﴾ [النور:21]، وعليه فالذاكر ينال بدوام ذكره لربه مقامات لا حصر لها، منها مقام لا تُنال الغاية إلا به، إنه:

المطلب الثالث: مقام الصبر:

رأس كل فضيلة **عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**[118] تناول الحديث صبر العبد عن أكبر ما يصيب الإنسان من ابتلاء، وهو الفقد يقول تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾ [البقرة: 155-156]، فتحقق العبد بالصبر يدل على سابق معرفة بربه ما جعله يوقن أن لا سبيل لرضا الله عنه إلا أن يرضى بقضائه وقدره، فسؤال الله في هذا الحديث عن قول عبده فيه ملمح بأن ما أصيب به عبده أمر عظيم فقوله « **ماذا قال عبدي** –أي سؤال عن حاله– عن جزعه وصبره وكفره وشكره»[119] وقول الملائكة **حمدك** دليل على ملازمة العبد للذكر وحسن ظنه بربه و« **استرجع**: أظهر رجوع الخلق كلهم إلى أمرك بقضائك وقدرك»[120]، فقد بدأ الله «أولا **ولد عبدي** أي فرع شجرته، ثم ترقى إلى **ثمرة فؤاده** أي نقاوة خلاصته، فإن خلاصة الإنسان الفؤاد، والفؤاد إنما يعتد به لما هو مكان اللطيفة التي خلق بها، وبها شرفه وكرامته، فحقيق لمن فقد هذه النعمة

المنارة للاستشارات

وتلقاها بمثل هذا الحمد أن يكون محمودا حتى المكان الذي يسكن فيه فلذلك سمي بيت الحمد»[121].

فالعبد يجد بحمده لربه على البلايا حلاوة، لأنه وصل بالصبر لليقين بربه وحسن الظن فيه «فالصبر يقوى شوكة القلب ويقوى اليقين»[122] ما مانعه من الميل بقلبه لغير الله وصده عن الجزع فانشغل عن فقد ولده بحمد محبوبه وذكره قاصدا رضاه والوصول إليه « فصبر الخاصة حبس النفس على الرياضات والمجتهدات وارتكاب الأهوال في سلوك طريق الاحوال» [123] فالعبد بصبره لله على هذا البلاء حبس نفسه عن الجزع –الذي لو كان منه لأرجعه لبداية سيره–ليستمر في نيل اللطائف والمعونة ليصل للولاية التي هي «حصول الأنس بعد المكابدة، واعتناق الروح بعد المجاهدة وحاصلها تحقيق الفناء في الذات بعد ذهاب حسن الكائنات.. فأولها التمكن من الفناء ونهايتها تحقيق البقاء وبقاء البقاء، ويبقى الترقي والاتساع فيها أبدا سرمدا»[124] ومقام الولاية قائم على المحبة **فعن ابن عباس قال: «أحب في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، لا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك»**[125] والأولياء هم الذين آمنوا واتقوا فمن تاب لربه وأكثر من ذكره وصبر على بلائه اتقاه فالتقوى «امتثال الأوامر.. ومواصلة الطاعات والإعراض عن المخالفات»[126] يقول عنهم الحق تبارك وتعالى في كتابه: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾ [يونس: 62-63]، وفي الحديث القدسي قال جل شأنه عن:

المطلب الرابع: مقام الولاية والمحبة:

في حديث **لأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ:"إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**[127]، هذا الحديث جاء الحديث فيه عن مقام الولاية صراحة بين فيه الله مكانة الأولياء

المنارة للاستشارات
ww

عنده «فالمراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته، المعاداة تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه، فأما المعاداة من جانب الولي فلله تعالى وفي الله، ومن الفاسق المجاهر ببغضه للولي وبغضه الآخر لإنكاره عليه ملازمته نهيه عن شهوته **آذنته بالحرب** والحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك، والله لا يغلبه غالب، فكأن المعنى فقد تعرّض لهلاكي إياه.. وفي هذا المعنى تهديد شديد لأن من حاربه الله أهلكه وهو من المجاز البليغ، وإذا ثبت هذا من جانب المعاداة، ثبت في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله»[128]، والدليل ما ذكر في حديث الذكر **لا يشقى بهم جليسهم** فمن يجالس أولياء الله يكرمه الله، فالله بهذا الحديث« يريد أن يعلمنا أنه قد يفيض على بعض خلقه فيوضات الإمداد على قدر رياضات المرتاضين»[129] ومن هذه الفيوض محبته تعالى لعبده المتقرب له بالعبادة لا لغرض الجزاء وإنما تسليما لربه الذي طلب منه العبادة، والعباد في التقرب لربهم درجات « قد يأتي المتقرب بالعمل، فيتعلق بفوائده المادية والروحية أو يأتي به قصد هذه الفوائد ذاتها كأنما قيمة العمل عنده موقوفة على ما يدر من منافع، وإذا كان طلب الفوائد جائز في حق **المسدد**[130]، فأنه يصير ضارا بل محظورا في حق **المؤيد**؛ فكل من طلب درجة التأييد لا بد له من التحرر من هذه الرؤية الانتفاعية » [131]لأنها لا تصح في التعامل مع الله فهي قائمة على المقابل والتساوي؛ انتظار مقابل من الله وكأنه لم يتفضل على عبده بشيء قط والتساوي معه كأنه سبحانه محتاج لذلك العمل حتى يعوض عبده عنه وهذا لا يليق به سبحانه وتعالى، فالمؤيد أو القائم بالتجربة الصوفية « هو الذي يطلب معرفة أعيان الأشياء بطريق النزول في مراتب الاشتغال الشرعي، مؤديا النوافل، زيادة على إقامة الفرائض على أكمل وجه»[132] وهذا هو عمل أولياء الله الذين تعهد ربهم من يعاديهم بالهلاك.

طه عبد الرحمن صدّر في حديثه عن التجربة الصوفية ووفائها بشروط كمال العقل بحديث الولاية هذا، لما فيه من دلائل على عدم كمال فعل العبد إلا بالتقرب من الله، فقوله تعالى: **ولا يزال** دليل على صحة الزيادة في العبادة للتقرب؛ فالنوافل هي الفعل الموجب للمحبة فقوله تعالى «**حتى أحبه** ظاهره أن محبة الله للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل؛ والمراد بالنوافل ما كانت حاوية

المنارة للاستشارات
ww

للفرائض مشتملة عليها مكملة لها.. والمعنى أنه إذا أدى الفرائض وأدام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضي به ذلك إلى محبة الله... ومن أدى الفرائض وزاد عليه النّفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب»[133] وهذا يطابق فعل السابق بالخيرات الذي يقابل درجت المنتهي أو العارف عند الصوفية فالحديث هنا أُستهل بالحديث عن مكانة الولي والدعوة لنيل درجة الولاية بالتزام النوافل لأن في الزيادة بركة وفضل، فالمكثر من النوافل يلقى في قلوب الخلق محبة لمحبة الله له **فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ:"إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ**[134].

ومن أسباب محبة الله لعبده تحصيله مقام التوبة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة:22]، والتوابين صيغة مبالغة دلالة على كثرة الإنابة النابعة من الخشية منه تعالى، والعلم بصفاته، فإذا تاب الله عن عبده يسر الله الطاعة وحبب إليه فعل الخيرات، وإن العبد اصطبغ بالطاعة وضعت له المحبة والقبول في الأرض ما يجعل من محبة الناس له باب لكرم الله عليهم، لأن هذا العبد من «نعم أولياء الله، وهم العارفون به حسبما يمكن، المواظبون على الطاعات، المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات»[135]، فمحبة الأولياء وموالاتهم توجب كرم الله المتمثل في الهداية للطاعات والإكثار منها فقوله تعالى: **يتقرّب إلي** معناه« طلب القرب قال أبو القاسم القشيري قرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ثم بإحسانه، وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه وفي الآخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وإمداده، ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق.. وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس، وباللطف والنصرة خاص بالخواص، وبالتأنيس خاص بالأولياء»[136]، والتأنيس لا يكون إلا مع محبوب اكتملت في القلب محبته.

وعليه فكل سائر لله طالب للوصول إليه «لابد له في سائر أحواله من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضي به، فأقل حال لا يخلوا المؤمن فيها من إحدى هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي أن يلزم بها قلبه وليحدث بها نفسه ويأخذ الجوارح بها في سائر أحواله»[137] فالسائر لن ينال

المنارة للاستشارات

الوصول إلى ربه ولن ينتهي إليه ولن يبلغ رضاه إلا بالتحقق بصريح العبودية لله التي هي معرفة، توحيد، توبة، صبر وتسليم لقضاء الله وكل هذا ثمرة للمحبة، وفي الحديث دلالة واضحة لمحبة الرب لعبده فقوله تعالى: **كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ** معناه «كنت أسرع في قضاء حوائجه إلى قضاء حوائجه من سمعه في الإسماع وعينيه في النظر، وحمله بعض الصوفية على أنه مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شيء وراءها، وهو أن يكون قائما بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له»[138]

هذا الحديث أصل في السلوك لبيانه لأرقى مقامات السالكين وهو المحبة المورثة للولاية كما أن فيه إشارة لحاجة العبد لربه مهما بلغ من المقامات ما بلغ، فهو لا ينقطع عن طلب الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية، فبداية السلوك ونهايته قائمة على:

المطلب الخامس: مقام العبودية:

فكل ما سبق من المقامات لا يكون إلا بعد التحقق بالعبودية التي هي «القيام بحق الطاعات، بشرط التوقير والنظر إلى ما منك بعين التقصير، أو ترك الاختيار فيما يبدوا من الأقدار أو التبري من الحول والقوة، والإقرار بما يوليك ويعطيك من المنة، وعلاماتها ترك التدبير بشهود التقدير»[139]، فهي التوكل الكامل على الله وحسن الظن به «فالله سبحانه إذا أراد أن يقوي عبدا على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه، ألبسه من أنوار وصفه، وكساه من وجود نعته، فتنزّلت الأقدار وقد سبقت إليه الأنوار فكان بربه لا بنفسه، فقوي لأعبائها وصبر للأوائها، وقل إن شئت إنما يعينهم على حمل البلايا وواردات العطايا.. وقل إن شئت إنما بصبرهم على القضاء علمهم بأن الصبر يورث الرضا»[140]، قول ابن عطاء الله يحاكي الحديث السابق في معناه فالله يقوي عبده السالك إليه حين يبدأ العزم في ورود الطريق وذلك بأن ييسر له التحلي بأسمائه وصفاته نتيجة تحققه بما طلب منه وهو العبادة، فحين يتخلّق العبد بصفات ربه يفيض عليه الله بنوره وحكمته، فيترقى في السير لربه حتى ينال القرب منه وهو ما يسعى إليه ليبقى به ما فني عن نفسه والخلق.

وفي حديث قدسي أرشد الله إلى التخلق بصفاته، كما أكد على التحقق بالعبودية التي لا

المنارة للاستشارات

يكون العبد عارفا بربه إلا بها **فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**[141]، «قوله تعالى يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي معناه تقدّست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل منه سبحانه لأنه يكون إذا تعديت الحدود وتجاوزت المراسم والبارئ ليس فوقه أحد يحد له حدا أو يرسم له رسما حتى يكون متجاوزا لذلك ظلما»[142] وقوله تعالى **فلا تظالموا** إرشاد للتحلي بصفاته تعالى والتخلّق بها فكأن به يقول أنكم يا عبادي الأعلون عن كل رغبة دنيوية توقعكم في الظلم، فعبد الله لا يكون ظالما لانشغاله عن الخلق بخدمتهم لإرضاء ربه لا منشغلا بهم لتحصيل شهوة نفسية أو رغبة دنيوية، وتكرار لفظ عبادي فضلا عن أنه تشريف لهم فيه تأكيد على الثبات على العبودية، وعدم الركون لغير الله والشاهد قوله **فاستطعموني اطعمكم... واستكسوني أكسكم** أي لا أحد بعدله سبحانه يلبي كل طلبات العباد إلا هو، كما أن هناك إشارة في الحديث تدل على أن عباد الله من الخاصة الذين تحققوا بالعبودية، فقوله تعالى **يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته** المقصود ليس ظاهر القول وإنما «أراد هداية من اهتدي من خلقه خاصة...ونبههم إلى أنهم إن تركوا إعمال النظر ضلوا»[143] فلو أراد الله سائر الخلق لما جعل خطابه بعبادي وإنما كان الأصح قوله يا بن آدم كما في الأحاديث

المنارة للاستشارات
ww

القدسية التي تشتمل على المواعظ.

والعبودية مقام ليس للمريد أن يحصله ويتجاوزه لمقام أعلى منه، وإنما هي مقام لا نهاية لحده ولا سير من غيره، فهو سر بداية الطريق وحصول آخره؛ فالله في أخر الحديث أشار إلى الدعاء دليل العبودية فالذي لا يطلب من سيده ليس بعبد كمال العبودية، لأن العبد دائم الحاجة لربه فلا يتحقق بعبوديته إلا بالتذلل والخضوع يقول ابن عطاء الله السكندري «لا يكن طلبك تسببا على العطاء منه، فيقِل فهمك عنه، وليكن طلبك لإظهار العبودية وقياما بحق الربوبية»[144] والدلالة في حكمة ابن عطاء أن لا تجعل عبادتك له طمعا في الجزاء فتحجب عنه بانشغالك بالجزاء وإنما كن في عبادتك له عبدا لا يسأل إلا رضا مولاه مؤديا واجباته ولا يسأل حقوقه لعلمه بكرم ربه وفضله، فيفيض عليه بأنوار قربه؛ لأنه ذهب إليه بمجاهدة نفسه فكفاه فجورها، وسعى إليه بالطاعات فحباه نورها وجزاه عنها بما لا يخطر على قلب بشر **فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقَالَ:"قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ "قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: "اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}**[145] فمن العباد من عبدوه سبحانه طمعا في الجزاء والثواب فحجبتهم الجنة عنه تعالى لاشتغالهم بها، ومنهم من تحققوا بالعبودية له فلم تشغلهم الجنة عنه لمعرفتهم بجلاله وهم الخواص، فيكرمهم ربهم بما يليق بخضوعهم وقربهم فيزيدهم على نعيم الجنة لذة النظر إليه يقول تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ ﴾[يونس:2]، «الحسنى في الدنيا توفيق بدوام، وتحقيق بتمام، وفى الآخرة غفران معجّل، وعيان على التأبيد محصّل قوله: «وَزِيادَةٌ» : فعلى موجب الخبر وإجماع السلف النظر إلى الله. ويحتمل أن تكون «الْحُسْنى»: الرّؤية، «والزيادة» دوامها. ويحتمل أن تكون «الْحُسْنى» : اللقاء، «والزيادة»: البقاء في حال اللقاء»[146]، فلم تكن عبادة العارفين لربهم لنيل الجزاء وإنما لأنه تعالى أحق وأهل لأن يعبد ويطاع ويخضع له، فقد عرفوه فعبدوه بما يليق بجلاله محسنين الظن به فأكرمهم في الدنيا بالقرب منه وكشف الحجب لهم وفي الآخرة برؤيته «قال الزمخشري: لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة منهن ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل أي نوع عظيم من الثواب ادّخره لأولئك وأخفاه عن

المنارة للاستشارات

جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح وراءها»[147]

إذن فكل من تحقق بالعبودية لربه وعرف سرها، فسار بها إليه متذللا، راجيا، منيبا إليه، صابرا على بلائه، متوكلا عليه في كل أمره، وصل لما يتلذذ به العبد وهو رضا الرب والقرب منه فعرفه حق المعرفة، فارتقى بعبوديته لربه وكان من العارفين.

خاتمة:

لكل عمل بداية ونهاية، وبما أن الطريق إلى الله له بداية بعبوديته تعالى ونهاية بالوصول إليه أي الانتهاء إلى درجة العارفين به، فإن هذا المقال بدء بتفكيك مفردات بداية هذا الطريق ونهايته – التعبد والعرفان– والتعرّف على معانيهما التي اتضح أنها متداخلة، فالسير إلى الله كل متكامل بين التعبد ومعرفته تعالى التي تتفرع عنها المقامات الموصلة إلى الحضرة الإلهية والبقاء به تعالى، وانتهى إلى أن الحديث القدسي جاء تكريما لعباد الله المتحققين بالتعبد، فكلّمهم الله به لأنهم لم يسألوه تعالى ما في أنفسهم ليقينهم ببشريتهم وحسن ظنهم به.

وعليه خلصت هذه الدراسة إلى أن بداية خطابه تعالى لعباده بالحديث القدسي ثناءً لهم بصفة العبدية فيهم، وبيان أنها خلاصة توحيد كامل صحيح وإيمان صادق بالله، وذلك لتحققهم بالآداب العرفانية وملازمتهم التّنزّه عن الأغراض الدنيوية لحصول الخضوع والتذلل الذي هو كنه التعبد الدائم الذي ذكره الله في الاحاديث القدسية، ما جعله مقاما لا منتهى لحده، فالعبد المريد إن وصل لهدفه وهو الفناء عن الخلق والبقاء بربه بعد معرفته فإنه لن يرتفع عن مقام العبودية مهما ترقى في نيل مقامات القرب، لأن العبودية أس هذا الطريق فبها يبتدئ وإلى التحقق بها يصل

كما يُستنتج أن من تحقق بالآداب العرفانية يُسّر له السير بل نال فضل الله فتطوى له الطريق لينال المقامات المقصودة لذاتها، حيث يسبل الله عليه محبته ويواليه فيكون من المقربين، لأنه كان سابقا بالخيرات مقبلا على ربه متأدبا مع خلقه، فيكون في مأمن من الخلق والدنيا ونفسه حتى يصير في كل أحواله مع الله وبالله ولله. لهذا كان الحديث القدسي مرشدا للثبات على هذه الأحوال لأنها أساس السير إلى الله وبرهان العبد على صحة تعبده ومفتاح نيله للمعارف اللدنية ما يجعله من العارفين.

المنارة للاستشارات
ww

الهوامش:

(1) الشعراوي: الاحاديث القدسية، تحقيق: عدل ابو المعاطي، القاهرة، دار الروضة، ط1، ص6.

(2) محمد هداية: **برنامج الأحاديث القدسية**، الحلقة الاولى، **www.youtub.com**، تاريخ الإضافة 2014/12/11،تاريخ الزيارة:2017/04/15 على الساعة 14:54

(3) الشعراني: **الطبقات الكبرى**، د.ط، د.د، د.س.، ج2، ص69

(4) الشعراني: **الآداب المقدسية في آداب العبودية**، د.ط، د.د، د.س ص88،89

(5) **نفسه**، ص88

(6) ابراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، دب، دار الفكر، دط، دس، ج2، ص595.

(7) ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق: عامر احمد حيدر، لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م، ج5، ص639.

(8) الكفوي: **معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1993م ، ص612.

(9) الزمخشري: **أسس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، دط، دت،، 513.

(10) أحمد أبو حاقة: **معجم النفائس الوسيط**، دب، دار النفائس، ط1، 2007م ، ص808.

(11) ابن منظور: **لسان العرب**، ص639.

(12) أحمد رضا: **متن اللغة**، بيروت، مكتبة الحياة، 1960م، ج4، ص77.

(13) زيدان عبد الفتاح قعدان: **المعجم الإسلامي**، عمّان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م، ج3، ص1369.

(14) رفيق العجم: **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، بيروت، د.د، ط1، 1999م ، ص370.

(15) الكفوي: **مرجع سابق**، ص490.

(16) السيد كمال الحديري: **العرفان الشيعي**، دب، مؤسسة جواد للفكر والثقافة، دط، دت، ص9.

(17) **نفسه**: ص10.

(18) لسان الدين أبو عبد الله بن سعيد بن أحمد السلماني ولد ب"لوشة"؛ تبعد عن غرناطة بنحو عشر فراسخ ، في 25 رجب 713هـ نشأ في غرناطة، أحد العلم والأدب من كبار الشيوخ والعلماء، عاصر ابن خلدون وابن بطوطة وأبو إسحاق الشاطبي وكان عالما وأديبا وسياسيا برز وتفوق في الطب والأدب منذ صغره ، له مؤلفات عديدة أتلف أغلبها في محنة إحراق كتبه بغرناطة سنة 773هـ، من ما بقي منها كتاب الإحاطة في السياسة ونفح الطيب وأزهار الرياض وآخرها كتابه روضة التعريف بالحب الشريف يعد من أقوى نفثات لسان الدين النثرية في التصوف (**مجلة عود النّد**، المغرب، السنة6، العدد70، مقال ل: د. فريد أمعضشو: ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته).

(19) لسان الدين الخطيب: **روضة التعريف بالحب الشريف**، بيروت، دار الثقافة، ط1، 1980م،ص494.

(20) سعاد حكيم: **المعجم الصوفي**، لبنان، دار ندرة للنشر والتوزيع، ط1، 1981م، ص1056.

(21) المقام الذي ينزل الحق فيه إلى العبد.(سعاد حكيم: **المرجع السابق**)

(22) محمد عابد الجابري: **بنية العقل العربي**، بيروت، بيت النهضة، ط1، 2001، ص252

(23) هو جلال الدين الرمي، ولد سنة 1207م في مدينة بلخ، غادرها أبوه بهاء الدين ولد في 1219م هربا من الغزو المغولي، كان يلقب عادة ب:خُداوندكار ومعناه مولانا أطلقه عليه والده منذ كان صغيرا وبهذا اللقب عرف بتركيا وأصقاع العالم الإسلامي كافة، من هذا الاسم جاء اسم المولوي، وكذلك اسم طريقه وهي المولوية. مقال لأحمد الحسين: **جلال الدين الرومي والتصوف مرجع هام لفهم رموز مولانا الرومي** وآثاره قراءة في كتاب إيقادو فيتراي مثيروفيتش: جلال الدين الرومي والتصوف. Maaber.oeg تاريخ الزيارة: 2017/6/19، الساعة: 09:15

(24) ضياء الدين سجادي وآخرون: **مقدمة تأسيسية في التصوف والعرفان والحقيقة المحمدية**، بيروت، دار الهادي ط1، 2002، ص-ب-

(25) حوار مع شهرام بازوكي: **الدين والتصوف والعرفان العلاقة والارتباط**، ترجمة: فرقد الجزائري 2014/12/15

(26) مرتضي مظهري: **العرفان**، ترجمة: عباس نور الدين، د.ب، دار المحجة البيضاء، ط2، 2002، ص43

(27) منها كتب مرتضى مظهري، محمد مهدي النراقي، وحيدر الآملي وغيرهم

المنارة للاستشارات

[28] ضياء الدين سجادي وآخرون: **مقدمة تأسيسية في التصوف والعرفان والحقيقة المحمدية** ، ص4

[29] (جاءت تسمية الغنوصية gnostics من الكلمة اليونانية غنوص–gnosisالتي تعني المعرفة الحدسية الباطنية، أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي، فالعارفون الغنوصيون–gnostics الذين يتواصلون مع الحقيقة الكلية عن طريق بصيرتهم الداخلية، أما الآخرون فهم غير العارفين الذين يقفون عند ظاهر التعاليم الدينية، ولا ينفذون إلى حقيقتها الباطنية، فإذا كان الطريق إلى الجنة عند اليهودية هو الالتزام بأحكام الشريعة، ولدى المسيحية هو الإيمان بيسوع، فإن الخلاص عند الغنوصية يتأتى عن طريق فعالية روحية داخلية تقود إلى معرفة النفس، وفي أعمق مستوياتها تقود إلى معرفة الله ذوقا وكشفا وإلهاما. فراس السوّاح: **طريق إخوان الصفا –مدخل إلى الغنوصية الإسلامية–**، دمشق، دار علاء الدين، ط1، 2015، ص27.)

[30] آنا ماري شيمل: **الأبعاد الصوفية في الاسلام**، ترجمة: محمد إسماعيل السيد، بغداد، منشورات الجمل، ط1، 2006، ص7

[31] مستشرقة وباحثة ألمانية ولدت سنة 1922م في مدينة إي فورت، من أسرة بروسية محافظة، بدأ شغفها بالشرق منذ طفولتها المبكرة 1929، بسبب قرأتها لكتاب: حكايات من عام1870، بدأت تعلم العربية في 1937 ، حصلت على دكتوراه 1941 تحت عنوان "مكانة علماء الدين في المجتمع المملوكي" ودكتوراه ثانية في 1946 بعنوان" مصطلح الحب الصوفي في الإسلام"، وقد لعبت هذه الرسالة دورا حاسما في مسارها المهني اللاحق.. أغلب أعمالها في فترة تقاعدها هي كتابات عن الإسلام بالألمانية والإنجليزية، وقد أحرزت في ذلك نجاحا كبيرا أهّلها للفوز بجائزة السلام الألمانية لعام 1995م، توفيت في 26 يناير 2003. (عبد السلام حيدر: أنّا ماري شيمل ومقتطفات من سيرتها الغرب–شرقية، مقال من **مجلة طواسن tawaseen.com** ، نقلا عن: أنّا ماري شيمل: شرق وغرب: حياتي الغرب– شرقية، ترجمة عبد السلام حيدر، تاريخ النشر: 2016/6/6، تاريخ الزيارة: 2017/6/19 الساعة 09:09)

[32] محمد عابد الجابري: **بنية العقل العربي**، ص372.

[33] علي بن صالح المكودي: **شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2005م، ص345.

[34] مصطفى الغلاييني: **جامع الدروس العربية**، صيدا، منشورات المكتبة العصرية، ط28، 1993م، ص71.

[35] نفسه: ص71.

[36] محمد فاضل السامرائي: **الصرف العربي أحكام ومعان**، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 2013م، ص203.

[37] الزبيدي: **تاج العروس**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م، مج8، (باب الزاي والسين)،ص184.

[38] الفيومي: **المصباح المنير**، القاهرة، دار الحديث، ط1، 2000م ، ص31

[39] دار الفكر: **الأحاديث القدسية**، بيروت، دار الفكر، ط1، 1983م، ص5.

[40] عصام الصبابطي: **جامع الأحاديث القدسية**، القاهرة، دار الحديث، ط1، 2004م، ج1، ص12.

[41] ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص662.

[42] ابراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، ج2، ص579.

[43] الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتبة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط5، 1996م، ص379.

[44] أحمد علي الفيومي: **المصباح المنير**،ص232.

[45] الزمخشري: **أسس البلاغة**، ، ص291.

[46] الرازي: **مختار الصحاح**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، ص491.

[47] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ص378.

[48] أحمد أبو حاقة: **معجم النفائس الوسيط**، ص780.

[49] التهانوي: **كشاف اصطلاحات الفنون**، تح.: علي دحروج، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، ج2، ص1157.

[50] رفيق العجم: **موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي**، ص606.

[51] التهانوي: **المرجع السابق**، ص1161.

[52] عبد النبي نكري: **مصطلحات جامع العلوم**، تحقيق: علي دحروج، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997م، ص573.

[53] ابن تيمية: **العبودية**، تحقيق: زينهم محمد عزب، د.ب، دار القلم للتراث، ط1، د.ت، ص9.

المنارة للاستشارات
ww

[54] الجرجاني: **كتاب التعريفات**، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، القاهرة، دار الرشاد، ط1، د.ت، ص168.

[55] التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق: علي دحروج، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، 2 /1161.

[56] رفيق العجم، **المرجع سابق**، ص606.

[57] الكفوي: **معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، ص583.

[58] ابن عربي: **الفتوحات المكية**، دار الفكر للطباعة والنشر، ج2، ص214.

[59] نفسه: ص214.

[60] الكفوي: **المرجع السابق**، ص247

[61] رفيق العجم: **المرجع السابق**، ص1045

[62] نفسه: ص1045.

[63] لمعرفة معنى التسليم وأحواله ينظر: رفيق العجم: **المرجع السابق**، ص.174

[64] فريد الأنصاري: **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**، الدار البيضاء، منشورات الفرقان، ط1، 1997م، ص98.

[65] نفسه، ص99.

[66] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب المساقاة، باب فضل انظار المعسر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، د.ت،ج3، رقم الحديث(1560)ص1195

[67] أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض: **إكمال المعلم بفوائد مسلم(شرح مسلم للقاضي عياض)**، تحقيق: محمد اسماعيل، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1998، ج8، ص 229

[68] **نفسه**: ص22

[69] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، د.ت، رقم الحديث(2569) ج4، ص1990

[70] أبو الفضل عياض: **المرجع السابق**، ص..

[71] اخرجه أبو داوود في السنن، كتاب أبواب الصلاة، باب الآذان في السفر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت، ج2، رقم الحديث(1203) ص4.

[72] محمد شمس الدين الحق العظيم آبادي: **عون المعبود شرح سنن أبي داوود**، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990 50/3

[73] أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: **الرسالة القشيرية**، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ط، 1957م، 222/1

[74] محمد شمس الدين الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داوود، **مرجع السابق**، ص50.

[75] عبد الله أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي ولد سنة 1161 بتيطوان، ألهمه الله الخلوة والوحدة فلا يلعب مع الصبيان وألقى الله في قلبه محبة العلم، وهو في الصبا قرأ القرطبية من غير أن يعرف اسمها، من عمدة أشياخه في القرءان جده المهدي وعبد الرحمن الكتامي الصنهاجي، من أقواله: أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكوّن فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك. ابن عجيبة: **الفهرسة**، تح.: عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، دار الغد العربي، ط1، 1990، ص4، 23، 26)

[76] ابن عجيبة الحسيني: **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، القاهرة، دار المعارف، د.ط، د.ت، ص62،61

[77] فيه إشارة إلى مقام الخوف النابع من معرفة الله

[78] حسن حنفي: **من الفناء إلى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف(الوعي الذاتي)**، ليبيا، دار المدار الإسلامي، ط1، 2009 ، ص716

[79] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة، تحقيق: محمد زهير بن الناصر، د.ب، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج4، رقم الحديث (3207) ص109.

[80] الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 2005، ج7، ص174.

المنارة للاستشارات
ww

[81] **نفسه**: ص175

[82] **نفسه**، ص175

[83] أخرجه الترمذي في السنن، أبواب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط،1998، ج1، رقم الحديث(413) ص535

[84] جلال الدين السيوطي، **قوت المغتذي على جامع الترمذي**، د.ب، د.د، د.ط، ج1، 1424هـ، ص194

[85] أخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب المساجد والجماعات، باب لزوم المسجد وانتظار الصلاة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، د.ب، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج1، رقم الحديث(801)ص262

[86] أبو الفضل زين الدين بن إبراهيم العراقي: **طرح التثريب في شرح التقريب**، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت، 366/2.

[87] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، تحقيق: محمد زهير، د.ب، دار طوق النجاة، د.ط، 1422هـ، ج4، رقم الحديث(3223)ص113

[88] أبو محمد بدر الدين العيني: **عمدة القارئ شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار التراث العربي، د.ط، د.ت،ج5، ص45

[89] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط.1،د.ت، ج1، رقم الحديث(251)ص219

[90] ابن القيم الجوزية: **مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي،1972، **مرجع سابق**، ج3، ص150،151

[91] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ب، دار احياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج1، رقم الحديث(395)ص296

[92] الشعراوي: الأحاديث القدسية، **مرجع سابق**، ج1، ص42

[93] من سبل تحقيق العبودية كما تقدم في الفصل السابق و علامات التحقق بها.

[94] الشعراوي: الأحاديث القدسية، **مرجع سابق**، ج1، ص34.

[95] أبو غزوان، محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي: **التوصل إلى حقيقة التوسل**، بيروت، دار لبنان للطباعة والنشر، ط3، 1979، ج1، ص61.

[96] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التوحيد، باب يريدون أن يبدلوا كلام الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1422هـ، مج9، ص145.

[97] ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، **مرجع سابق**، ج11، ص305.

[98] أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب يريدون أن يبدلوا كلام الله، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1422هـ، ج9، رقم الحديث (7507) ص145.

[99] أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج13، ص 471

[100] محمد بن صالح العثيمين: **شرح صحيح البخاري**، القاهرة، مكتبة الطبري للنشر والتوزيع، ط1، 2008، ج8، ص537

[101] ابن القيم الجوزية: **مدارج السالكين**، ج3، ص434، 435.

[102] الهجويري: **كشف المحجوب**، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، القاهرة، مكتبة الإسكندرية، ط90، 1974، ص237.

[103] عبد القادر الكيلاني: **مرجع سابق**، ص35

[104] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، تحقيق فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج8، رقم الحديث(6408)ص86.

[105] ابن حجر العسقلاني: **مرجع سابق**، ج11، ص175

المنارة للاستشارات
ww

[106] عبد الله أحمد بن عجيبة: **معراج التشوف إلى حقائق التصوف**، تحقيق: عبد المجيد خيّالي، الدار البيضاء، مركز التراث الثقافي المغربي، د.ط، د.ت، ص31

[107] ابن حجر العسقلاني: **مرجع سابق**، ص 179

[108] سبق تخريجه

[109] ابن حجر العسقلاني: **المرجع السابق**، ج11، ص179

[110] أخرجه ابن ماجة في السنن، باب الأدب ، باب فضل الذكر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت، ج2، رقم الحديث(3792) ص1246.

[111] محمد بن عبد الهادي أبو الحسن نور الدين السندي: **حاشية السندي على سنن ابن ماجة**، بيروت، دار الجيل، ط2، د.ت، ج2، ص418

[112] أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله، تحقيق فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج9، رقم الحديث(7505)ص145

[113] أبو الفضل بن عياض: إكمال المعلم بفوائد مسلم، **مرجع سابق**، ج8، ص172

[114] أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج4، رقم الحديث(2675)ص2061

[115] أبو الفضل بن عياض، **مرجع سابق**، ص172

[116] **نفسه**: ص173

[117] أبو الفضل عياض، **مرجع سابق**، ص147

[118] أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الجنائز، باب فضل المصيبة إذا احتسب، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د.ط، د.ت، ج2، رقم الحديث(1021) ص 332.

[119] أبو الحسن نور الدين الهروي القاري: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت**، دار الفكر، ط1، 2002، ج3، ص1204.

[120] **نفسه**: ص1204

[121] ابو الحسن نور الدين الهروي القاري، **مرجع سابق**، ص1204

[122] عبد القادر الكيلاني: **مرجع سابق**، ص98

[123] **نفسه**: ص98

[124] عبد الله أحمد بن عجيبة: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، **مرجع سابق**، ص38

[125] أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف، كتاب الزهد، باب كلام ابن عباس، الرياض، مكتبة الرشد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط1، 1409، ج7، رقم الحديث(34770)ص134.

[126] ابن عجيبة: معراج التشوف، **مرجع سابق**، ص33

[127] أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الرقائق، باب التواضع، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج2، رقم الحديث(6502)ص105

[128] ابن حجر العسقلاني: **مرجع سابق**، ج11، ص292

[129] متولى الشعراوي: المرجع سابق، ج1، ص88

[130] المصطلح لطه عبد الرحمن ويقصد بالعقل المسدد (الفعل الذي يبتغي به صاحبه جلب منفعة ودفع مضرة، متوسلا في ذلك بإقامة الأعمال التي فرضها الشرع، ويشترط فيه موافقه الشرع واجتلاب المصلحة والدخول في الاشتغال...وبفضل تنزيل هذا العقل على التجربة الحية وتأييده بأوصافها يترك وصفه العقلاني الأصلي ليتخذ وصفا عقلانيا جديدا أعقل وأكمل منه وأفضل وهو وصف العقل المؤيد الذي يؤيده العمل القائم على التجربة. طه عبد الرحمن: **العمل الديني وتجديد العقل**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 1997ص85، ص119)

[131] **نفسه**: ص134

المنارة للاستشارات
ww

(132) **نفسه**: ص121

(133) ابن حجر العسقلاني: **مرجع سابق**، ج11، ص292

(134) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الثقة في الله تعالى، باب الآداب، تحقيق: محمد زهير بالناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج8، رقم الحديث(6040)ص14

(135) محمد إسماعيل الصنعاني: **الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والالطاف**، تحقيق: عبد الرزاق عبد المحسن بدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ، ص42

(136) ابن حجر العسقلاني: **المرجع السابق**، ص 293

(137) عبد القادر الجيلاني: **أدب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك**، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دمشق، دار السنابل، ط1، 1995، ص51

(138) ابن حجر العسقلاني: **مرجع سابق**، ج11، ص294

(139) الهجويري: **مرجع سابق**، ص40

(140) أحمد بن عطاء الله السكندري: **التنوير في إسقاط التدبير**، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول، القاهرة، دار السلام المدينة، ط1، 2007، ص15

(141) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ط، د.ت، ج4، رقم الحديث(2577)ص1994.

(142) أبو الفضل عياض: **مرجع سابق**، ج8، ص46

(143) **نفسه**: ص46

(144) ابن عطاء الله السكندري: **الحكم العطائيه** ، شرح: ابن عباد النفري، القاهرة، مؤسسة الأهرام للنشر، ط1، 1988، ص73

(145) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب التفسير، باب فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، بيروت، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج6، رقم الحديث(4779)ص115

(146) عبد الكريم بن هوازن القشيري: **لطائف الإشارات –تفسير القشيري–**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتب، ط3، ج2، ص91

(147) أحمد بن محمد القسطلاني: ارشاد الساري شرح صحيح البخاري، **مرجع سابق**، ج8، ص281

قائمة المصادر والمراجع:

ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر، (د.ت.)

ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1972 .

ابن تيمية، العبودية، تحقيق: زينهم محمد عزب، دار القلم للتراث، ط1، (د.ت.)

ابن عجيبة الحسيني، إيقاظ الهمم في شرح الحكم، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

ابن عجيبة، الفهرسة، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، دار الغد العربي، القاهرة، ط1، 1990.

ابن عربي، الفتوحات المكية، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت.)

ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائيه، شرح: ابن عباد النفري، مؤسسة الأهرام للنشر، القاهرة، ط1، 1988، ص73

ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2005م.

ابو الحسن نور الدين الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 2002

أبو الفضل زين الدين بن إبراهيم العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، دار الفكر، بيروت، د.ت.

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم(شرح مسلم للقاضي عياض)، تحقيق: محمد اسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط1، 1998.

المنارة للاستشارات

ww

أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1957م.
أبو غزوان، محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محيي الدين الرفاعي: التوصل إلى حقيقة التوسل، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1979
أبو محمد بدر الدين العيني: عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، دار التراث العربي، بيروت، د.ت.
أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الوسيط، دار النفائس، ط1، 2007م.
أحمد الحسين، جلال الدين الرومي والتصوف مرجع هام لفهم رموز مولانا الرومي وآثاره قراءة في كتاب إيقادو فيتراي مئيروفيتش: جلال الدين الرومي والتصوف. Maaber.oeg تاريخ الزيارة: 2017/6/19، الساعة: 09:15
أحمد بن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير، تحقيق: محمد عبد الرحمن الشاغول، دار السلام المدينة، القاهرة، ط1، 2007
أحمد رضا، متن اللغة، مكتبة الحياة، بيروت، 1960م.
آنا ماري شيمل، الأبعاد الصوفية في الاسلام، ترجمة: محمد إسماعيل السيد، منشورات الجمل، بغداد، ط1، 2006.
التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996م.
التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 1996م..
الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحنفي، دار الرشاد، القاهرة، ط1، د.ت.
جلال الدين السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي، ج1، 1424هـ.
الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005.
حسن حنفي، من الفناء إلى البقاء محاولة لإعادة بناء علوم التصوف(الوعي الذاتي)، دار المدار الإسلامي، ليبيا، ط1، 2009 .
حوار مع شهرام بازوكي، الدين والتصوف والعرفان العلاقة والارتباط، ترجمة: فرقد الجزائري 2014/12/15
دار الفكر: الأحاديث القدسية، بيروت، دار الفكر، ط1، 1983م.
الرازي: مختار الصحاح، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م..
رفيق العجم: موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، د.د، بيروت، ط1، 1999م..
الزبيدي: تاج العروس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2008م.
الزمخشري: أسس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، دت..
زيدان عبد الفتاح قعدان: المعجم الإسلامي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، ط1، 2012م.
سعاد حكيم: المعجم الصوفي، دار ندرة للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1981م.
السيد كمال الحديري: العرفان الشيعي، مؤسسة جواد للفكر والثقافة، دت.
ضياء الدين سجادي وآخرون: مقدمة تأسيسية في التصوف والعرفان والحقيقة المحمدية، دار الهادي، بيروت، ط1، 2002،
طه عبد الرحمن، العمل الديني وتجديد العقل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 1997
عبد السلام حيدر، أنّا ماري شيمل ومقتطفات من سيرتها الغرب–شرقية، مقال من مجلة طواسينtawaseen.com، نقلا عن: أنّا ماري شيمل: شرق وغرب: حياتي الغرب– شرقية، ترجمة عبد السلام حيدر، تاريخ النشر: 2016/6/6، تاريخ الزيارة: 2017/6/19 الساعة 09:09)
عبد القادر الجيلاني: أدب السلوك والتوصل إلى منازل الملوك، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار السنابل، دمشق، ط1، 1995.
عبد الكريم بن هوازن القشيري، لطائف الإشارات –تفسير القشيري–، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتب، مصر، ط3 .
عبد الله أحمد بن عجيبة، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيّالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، د.ت

المنارة للاستشارات
ww

عصام الصبابطي، جامع الأحاديث القدسية، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2004م..

علي بن صالح المكودي: شرح المكودي على الألفية في علمي النحو والصرف، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م.

فراس السوّاح، طريق إخوان الصفا –مدخل إلى الغنوصية الإسلامية–، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 2015.

فريد الأنصاري، أبجديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص98.

فريد أمعضشو، ابن الخطيب الأندلسي وإحاطته، مجلة عود النّد، العدد70 السنة6

الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق: مكتبة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1996م.

الفيومي، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2000م .

الكفوي، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.

لسان الدين الخطيب، روضة التعريف بالحب الشريف، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1980م.

محمد إسماعيل الصنعاني: الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والالطاف، تحقيق: عبد الرزاق عبد المحسن بدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ

محمد بن صالح العثيمين، شرح صحيح البخاري، مكتبة الطبري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008

محمد بن عبد الهادي أبو الحسن نور الدين السندي: حاشية السندي على سنن ابن ماجة، دار الجيل، بيروت، ط2، د.ت

محمد شمس الدين الحق العظيم آبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.

محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، بيت النهضة، بيروت، ط1، 2001.

محمد فاضل السامرائي: الصرف العربي أحكام ومعان، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2013م.

محمد متولي الشعراوى: الأحاديث القدسية، تحقيق: عادل أبو المعاطي، دار الروضة للنشر والتوزيع، القاهرة ، ط1، 2002 .

محمد هداية: برنامج الأحاديث القدسية، الحلقة الاولى، www.youtub.com، تاريخ الإضافة 2014/12/11 ،تاريخ الزيارة:2017/04/15 على الساعة 14:54

مرتضي مظهري، العرفان، ترجمة: عباس نور الدين، دار المحجة البيضاء، ط2، 2002.

مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط28، 1993م.

الهجويري، كشف المحجوب، ترجمة: إسعاد عبد الهادي قنديل، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط90، 1974.

المنارة للاستشارات

ww